الكتاب الثامن والستون

تأملات فريدة فى مأساة التوقف الروحى

الكتاب الثامن والستون

اختبار ما بين البرية وكنعان
فى قادش برنيع

خلاصة التأملات التى ألقيت بمؤتمر يوم الخمسين الثالث
المنعقد ببيت للبان بأسيوط فى المدة من ١٢ إلى ١٧ أغسطس ١٩٨٥

تقديم

القس صموئيل مشرق
رئيس المجمع العام
لكنائس الله الخمسينية

صدر عن الكنيسة المركزية للمجمع المذكور بجزيرة بدران
٨ ش أحمد باشا كمال ــ ت : ٧٧٥٦٧٦

الإهـداء

إلى الذين يرغبون رغبة صادقة
فى دخول أرض الميعاد الشهية
والتمتع بامتيازات هذه الأرض البهية
وقد ضاقت أنفسهم بطول التجوال فى البرية
وأصبحوا يتوقون إلى إنهاء رحلتها المضنية
والدخول فورًا إلى أرض المواعيد والمواهب الروحية
حيث يجدون فيها :
أيام السماء على الأرض
إذ هى أرض راحة الإيمان

« سماويات العهد الجديد »

تمهيـد

« قادش برنيع » أبرز محطة فى رحلات بنى اسرائيل إذ أنها « اختبار ما بين البرية وكنعان » ... ومن ثم ظهر هذا التساؤل عنها فى القول الاستفهامى الآتى :

« ما هو هذا الموقع الغريب الذى يرد ذكره حوالى ٣٥ مرة من سفر التكوين إلى سفر المزامير ، حيث قابل الملاك هاجر الهاربة ، وحيث سكن إبراهيم ، وهناك أيضاً ماتت مريم أخت هارون وموسى ، وأقيمت مدينة الملجأ الأولى ...

ومع ذلك فإن أهم ما تميزت به هو أنها كانت محطة دخول ــ أى الموقع الفاصل بين البرية وكنعان : فمن هناك تم إرسال الجواسيس إلى أرض كنعان ليقدموا تقريراً عنها ، وهناك أشاعوا مذمة الأرض أيضًا ، وسطع مجد الرب ضد العصاة ، فتزلزلت برية قادش (مز ٢٩:٨)

كان اسمها الأول « عين مشفاط » (نبع التصفية) وهى حالياً « عين قديس » ومعناها « نبع القداسة » ولذلك فقد اتفق على أن يكون معناها « البرية المقدسة » ــ فماذا حدث هنا فى « قادش برنيع » حتى صار لها هذه الأهمية الفريدة !؟ الجواب نجده فى هذه التأملات التى قدّمت فى « المؤتمر الثالث » بأسيوط ، وهى تظهر هنا فى هذا المطبوع لتعميم فائدتها .

الفصـــل الأول
رحلة الخارجين من مصر

« وكان عند نهاية أربع مئة وثلثين سنة فى ذلك اليوم عينه ان جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر ... وكان فى ذلك اليوم عينه أن الرب أخرج بنى أرض مصر » (خر١٢ : ٤١ و ٥١)

نرى من محتويات سفر العدد وفاتحة سفر التثنية كيف أن الله مهتم بكل ما يخص شعبه ـــ لقد رسم لهم مسار رحلة خروجهم من مصر وبموجب صلاحه التام كان له اشراف كامل لم يعتبر أى شيء متعلق بهم تافهاً لديه ، ومن ثم فإنه كان يتتبع كل تحركاتهم وطرقهم وسيرهم بل أنه حفظ سجلاً لأماكن نزولهم ومحطات وقوفهم ـــ وحقاً يا له من امتياز أن يكون الرب قريباً من شعبه إلى الحد الذى فيه يهتم بكافة شئونهم صغيرها وكبيرها فى رحلتهم التاريخية هذه ونرى فى ذلك :ـ

أولاً : أن الرب نفسه هو الذى وضع تخطيط هذه الرحلة فهى مرتبة من قبله خطوة خطوة : فلا داعى للقلق إذن ، فإن حكمته لا تخطيء كما أن قوته لا تضعف ، فلم يكن بهم حاجة لإزعاج أنفسهم حول رحلاتهم أو التخطيط لها . هكذا كان الحال معهم وهو كذلك معنا ، لأن الرحلة التى تقررت لهم قديماً هى بعينها المقررة لنا ، فقد كانت معهم رمزاً ومثالاً لنا نحن فى عصرنا الحاضر وهى لذلك موضوعة فى خطة شاملة متجانسة متكاملة من كافة الوجوه ، ومن ثم ليس علينا سوى طاعتها لأن راحة القلب إنما هى فى قبول التعليمات التى تصدرها مشيئته وتعلنها كلمته لتحديد خط السير المقرر لنا فى هذه الرحلة .

ثانياً : إن هذه الرحلة كانت بلا شك نهاية العبودية الشديدة والقاسية التى كانت لشعب الله حينذاك فى أرض مصر : لقد كانت عبودية شعب الله فى ذلك الوقت ولمدة طويلة من الزمن بلغت أربعمائة وثلاثين عاماً من أقسى نوع . ولكن مهما تكن تلك الآلام التى أحاطت بهم فقد استطاعوا مواجهتها وامتصاصها على أساس الوعد الإلهى بافتقادهم لاخراجهم بيد رفيعة هى يد الهنا الذى له وحده الكلمة العليا النهائية ، بل إن تلك الالآم كانت من أهم وسائل انضاجهم ــ نعم كانوا يصرخون تحت سياط المسخرين ، وكان يبدو أنه ليس هناك تفسير على مدى طويل من الزمن ــ وكم نفوس هذا حالها إلى الآن ، مع أن قصد الله إنه لا يترك شعبه لوحدهم فى محنة اختبارهم بل إن أعظم الأمانى التى يضعها فيهم هو تحريرهم لكى يبدأوا معه هذه الرحلة المباركة ــ فإن النفس المتحررة هى التى تستطيع أن تسير مع الرب بمرونة وسهولة لا جدل فيها ولا نقاش بعد انتهاء مذلة العبودية والوصول إلى يوم التحرر منها ، وهو اليوم الموعود الذى فيه يبدأ تاريخ شعب الله الحقيقى ، يوم الخروج من أرض مصر !! فهو فى الواقع يوم اثبات وجودهم الحقيقى وصحة انتسابهم لله كشعبه لأن أيام العبودية السابقة له لا تعطيهم وجوداً ولا تثبت لهم تاريخاً ...

ثالثاً : إن هذه الرحلة المقررة تستلزم التحرك الفورى عند الخروج من مصر وذلك بدون إبطاء أو توقف : إذ أنه من هنا يبدأ الامتحان ــ إنه ليس مجرد تظاهر بالتجاوب بل تحرك واقعى يبدأ به فعلاً السير مع الرب ــ فإن هذه علامة أكيدة على أن النفس خرجت من مصر ، وبدون ذلك فإنها تكون باقية بعد فيها أى أن النفس لا تكون قد خرجت بعد من مصر العبودية ، فإن هذا الخروج يعتبر بداية الصلة أو العلاقة مع الرب ــ لأن يقين تحقيق الصيرورة ضمن شعب الله لا يمكن الحصول عليه مع البقاء فى مصر بل لابد من الخروج منها لتبدأ الرحلة ، فمن المؤكد أن المؤمن المتحرر الذى خرج من نطاق العبودية الطبيعية هو الذى يتحرك فى طريق الرب لأن هذا التحرر نفسه هو الذى يستدعى تحريك الأقدام للسير فى هذه الرحلة السعيدة التى تبدأ من لحظة الخروج من مصر !!

رابعاً : لقد قرر الله للخارجين من مصر أن يكون يوم الخروج من مصر لبدء الرحلة يوماً خالداً لا يمحوه الزمن ولا يجب أن يُنسى قط : لذلك أوصى الرب شعبه بأن يخبروا بقصة هذا الخروج أولادهم . ولقد أضحت هذه القصة من ألمع

دروس العهد الجديد نفسه ... لقد نجح فرعون فى إذلالهم لكن الله هزمه بنفس نجاحه فقد دفعهم ذلك الاذلال لإشعال الغيرة والحياة فيهم وارتفاع أنينهم طلباً للحرية ، فلما جاء الوقت كان كل من فى مصر بما فى ذلك فرعون نفسه يدفعهم للخروج وهذا رمز لخروجنا الأعظم وهو الذى نتهيأ له بالظروف القاسية المتشابهة التى يزى الله فى حكمته أن يستخدمها لتحويل قلوبنا فى اتجاه هذا الخروج العتيد المجيد !!

الفصـــل الثانـــى
من مصـر إلى كنعـان

« الرب إله آبائكم ظهر لى قائلاً أنى قد
افتقدتكم وما صُنع بكم فى مصر فقلت
اصعدكم من مذلة مصر إلى ... ... إلى
أرض تفـــيض لبنـــاً وعسلاً »
(خر ٣ : ١٦ و ١٧)

تأملاتنا تنتقل هنا إلى حلقة أخرى بعد التى سبقت وهى من أين تبدأ الرحلة وإلى أين ؟ « رحلة الخارجين من مصر » ، ومن الإجابة نجد العنوان وهو : « من مصر إلى كنعان » ، وهو عنوان واضح جداً وطبيعى للغاية فإنهم كانوا فى مصر ووعدهم الله بأنه سيخرجهم منها لكى يدخلهم إلى كنعان فأصبحت الرحلة مقررة بين هاتين المنطقتين !

وأما ما تحتويه هذه الرحلة من مصر إلى كنعان فهو ثمين جداً لأن له ارتباط مباشر على اختبارنا الحالى ومراحله ـــ مما يؤكد أن الاختبار الروحى على ثلاث مراحل وهى على الوجه الآتى :-

أولاً : الدور الأول من الرحلة وهو حماية بالدم بدون خروج من مصر : ومع أننا نجد فى هذا الدور نجاة من الدينونة ـــ وما أكثر من يكتفون بذلك ـــ إلا أننا نجد أيضاً بقاء فى عبودية فرعون مصر الذى يمثل الشيطان رئيس هذا العالم الشرير ، مع أن الاختبار المتكامل يتقدم إلى البرية بالخروج من مصر :

هذا الدور نراه والشعب فى مصر عند نقطة ابتداء الرحلة قبل خروجهم مباشرة فى تلك الليلة التاريخية التى حدث فيها موت الابكار فى حين أن المهلك لم يمس

بيوت شعب الله التى احتمت بدم خروف الفصح (وهو لفظة البسخة العبرية التى تعنى العبور pass over) فرغم أن الضربة عامة على جميع الابكار فى مصر لكن حدث تمييز لمن قد احتموا بالدم فنجوا من هذه الدينونة المعلنة والمنفذة .

وواضح من ذلك تماماً أن بداية رحلة السير مع الرب هى الحماية بالدم إذ لن تبدأ الرحلة إلا على هذا الأساس ، وهذه نقطة مهمة مركزية . ونرى بالنسبة لها هنا أعداداً كبيرة قد قبلت اليوم الاحتماء تحت الدم ولكنها توقفت عند هذا الحد دون أدنى فكرة للتحرك من مصر ، ومثل هذا الاكتفاء يجعل الانجيل لدى أمثال هؤلاء انجيلاً ناقصاً لأنه مع أن الاحتماء فى الدم شيء عظيم لكن الاكتفاء به شيء خطير للغاية ، لأنه بداية لا نهاية ، بداية يجب أن يليها الانطلاق للخروج من مصر واجتياز البحر الأحمر إلى الشاطىء الآخر حيث تظهر ترنيمة موسى التى نراها لدى الغالبين على البحر الزجاجى مقترنة بترنيمة الحمل !!

ثانياً : الدور الثانى من الرحلة وهو عبور البحر الأحمر إلى البرية : لا شك أن المؤمنين الذين يحتمون فى الدم ويبقون فى مصر يلحق بهم عار البقاء تحت عبودية هذا العالم الشرير الخاضع للشيطان ، لذلك كان من المهم جداً الخروج من مصر والتخلص منها بعبور البحر الأحمر وهو رمز لاتحادنا مع المسيح بموته وقيامته بحيث يفصلنا ذلك عن العالم فنتحرر من الاستعباد لأركانه ومكوناته ــ وهنا يجيء دور آخر وهو دور البرية وهى جزء لازم من الاختبار الروحى إذ هى أرض الجفاف والنشاف والوعور والصخور حيث الشمس المحرقة والرمال الساخنة والأعداء المتربصين والمفاجآت القاسية والاحتياجات الملحة ــ ترى ماذا يعنى الله بهذا الدور الآخر : اختبار البرية فى حياتنا ؟ إنه اختبار حياة الذات وهو ما يُسمّى امتحان الحياة فى الجسد ، وهل تكّف شهواته إذ لا يمكن أن نجد فيها الشبع حتى تتحول عنه لكى نجد كفايتنا فى الرب لا فى الذات ، أم تبقى بسببه فى حال التجوال فى البرية دون تقدم أو فائدة ... على أن قصد الله الواضح من دور البرية هو تحرير شعبه من حياة الذات ، كما قصد من قبل تحريرهم من أرض مصر بعبور البحر الأحمر !!

ثالثاً : الدور الثالث وهو عبور الأردن لأجل دخول كنعان :

وهو يشير إلى أعظم مما سلف ذكره أى معرفتنا باشتراكنا في موت المسيح وقيامته لأخذ مقامنا فيه بامتلاكنا أرض الموعد « كنعان » وهى تعنى فى التطبيق الروحى « أرض الروح القدس ــ أرض المواهب والمواعيد » ، فهى لا تمثل السماء كما ظن

البعض ، لأن الجهاد فيها لم ينته بعد ، ولكنها تمثل مرحلة من الحياة الروحية بعد مرحلة البرية ـــ التى كان فيها الشعب مشغولاً بمتاعبه الشخصية كاحتياجه إلى الماء والطعام وأماكن للراحة ـــ فليس معنى عبور الأردن مفارقتنا هذا العالم وانطلاقنا إلى السماء عند الموت ، بل هو رمز جميل يفيدنا بخصوص سلوكنا على الأرض وليس من جهة دخولنا السماء ، فهو رمز لحالتنا الروحية حال كوننا قد انفصلنا عن العالم وصرنا نتمتع بمقامنا فى المسيح . باعتبار أننا قد متنا وقمنا معه ودخلنا السماويات كنعاننا لنوال ميراثنا الروحى ـــ وهو الذى يضمن لنا الراحة على أساس الجهاد حسب مضمون رسالة أفسس !

فإن سفر يشوع رمز لمصارعات ورثة السماويات ضد أجناد الشر الروحية فيها بعد دخولنا لها الآن كما حدث لبنى إسرائيل بعد دخولهم كنعان فإنهم باشروا جهاداً عظيماً مع أعدائهم وقد جُرّب إيمانهم بذلك أكثر مما جُرّب بعناء المسير فى البرية ، ومن ثم فإننا نجد فى سفر يشوع أخبار حروبهم ، وبهذا يتضح لنا معنى الرمز وهو لا يمكن أن يكون انطلاقنا لنكون مع الرب ، لأننا بعد دخول كنعاننا لابد أن نشتبك بحروب .. ويشوع هذا يمثل المسيح كمن يقود شعبه فى السماويات !

فإننا وان كنا لسنا فى السماء بعد لكننا بموجب الروح القدس المعطى لنا نتحقق اتحادنا مع المسيح ومقامنا فيه ، مع أننا مجاهدون ضد أعدائنا الروحيين الذين يقاومونا فى محاولة عنيفة لمنعنا عن التمتع بميراثنا ... والإيمان هنا لا يضيق دائرة نظرنا بل يوسعها جداً إذ به نعاين ما أُعطى لنا من الله على حسب ما نظره الله لأجلنا ، وتمتعنا به ليس أقل واقعية لكونه بالإيمان يستند على مواعيد الله التى تتضمنها كلمته الثابتة إلى الأبد !!

وهكذا نرى كيف أن موسى يرمز إلى المسيح كمن يخرج شعبه من مصر « العالم » ويقودهم فى البرية « الغربة » وأما يشوع فهو رمز للمسيح كمن يدخلنا إلى ميراثنا الروحى ، وينصرنا على أجناد الشر الروحية ويقودنا بروحه لنعرف ونتحقق امتيازاتنا ونتمتع ببركاتنا !!

الفصـــل الثالـــث
التوقف عند الحدود الفاصلة

« الرب الهنا كلمنا فى حوريب قائلاً كفاكم قعود فى هذا الجبل ... وقعدتم فى قادش أياماً كثيرة كالأيام (أى حسب الأيام) التى قعدتم فيها »
(تثنية ١ : ٦ و ٤٦)

نحن الآن ذاهبون إلى « قادش برنيع » أبرز محطة فى رحلات بنى إسرائيل إذ أنها تميزت بكونها محطة فى رحلات بنى إسرائيل إذ أنها تميزت بكونها محطة دخول كنعان ـــ أى الموقع الفاصل بين البرية وكنعان ، وجدير بالذكر هنا ما تصوره البعض من أن قادش برنيع هى تل أو جبل كان بمقدور بنى إسرائيل أن يروا كنعان منه ، ولكنى علمت بأنها واد منخفض يحده جبل يفصل بينه وبين كنعان ، وكان لابد من عبوره لدخول كنعان ـــ وهذا يزيد الأمر وضوحاً ... فإن هذا الجبل العائق يمثل بالنسبة لنا الإرادة غير المُسلَّمة بعد ، رغم أننا فيما لو تقدمنا ونحن فى حال التسليم الكامل ، فإن هذا الجبل يذوب والطريق يسهل ، ويعيننا الرب على الدخول !

على أننا فى قادش برنيع نرى الحقائق الآتية وهى مذهلة لمن يتأملها :-

أولاً : إن قادش برنيع هى الخط الفاصل بين مصر وكنعان :

لقد وصل الشعب إلى هنا حيث الحدود الفاصلة بين البرية وكنعان ، ولكنه فشل فى امتلاك الأرض : لقد وصلوا إلى الخط الفاصل بين مصر وكنعان ـــ ولكن موقفهم قد دلّ على عدم استعدادهم عبور الحدود الفاصلة إلى كنعان المباركة . وهذا هو الموقف المتطور الرهيب فى رحلة الخارجين من مصر ، إذ هو يقدم لنا صورة صادقة

ومؤلمة معًا عن الحالة المتوسطة التى جاء إليها هؤلاء الخارجون وتوقفوا عندها ويا للأسف !!

ويبدو أن التوقف من العادات المألوفة للطبع البشرى فهو لا يميل إلى التحرك والمثابرة والسير بانتظام متوالٍ فى خطة الله لكنه يميل إلى التوقف يؤيد ذلك صدور أمر الرب لموسى من قبل والشعب فى حوريب ــ جبل الشريعة ــ بأن كلم الشعب بهذا النداء الذى استمعنا إليه وهو موجه إلينا ضمنا بقوله : « كفاكم قعود فى هذا الجبل » .. لقد كانت الفترة التى قضوها فى حوريب مهمة جداً حيث نصبوا الخيام واستقروا فى أماكنهم فى انتظار الشريعة الكفيلة بتدريبهم وتنظيمهم .. لكن سرعان ما وجدهم الرب قد آثروا القعود فى حوريب لأن الله لا يشاء أن نبقى فى حيز معين معلوم ونقعد فيه ــ لا شك أن حوريب مرحلة مرتبة من الله ولها أهميتها ، لكن لابد من التحرك عنها والتحرك إلى مواقع جديدة قد ذكرت بالتفصيل فى سفر العدد وفاتحة سفر التثنية ، كان آخرها « قادش برنيع » أى « البرية المقدسة » حيث انتظر الرب منهم أن يتحركوا نحو كنعان لامتلاكها ، لكن التوقف الذى مارسوه فى « حوريب » عادوا إليه فى « قادش » ، وهذا يشكل مأساة نتعرض لها باستمرار ، إننا سواء كنا فى الموقع الأول أو الأخير ــ فى « حوريب أو قادش » فإننا نميل إلى القعود والتوقف مما يعطل خطة الله فى حياتنا ويحرمنا من الحصول على أعظم بركاته التى أعدها لنا إذا قبلنا أن نتقدم لميراثنا !! ومن ثم فليس هناك رواية محزنة فى حياة شعب الله مثل حالة التوقف التى يسميها الكتاب هنا « القعود » ، وهو الاسترخاء والعجز عن التحرك والتشبث بالبقاء فى الموقع عينه دون تغيير ، الحالة المحزنة والموجبة للأسف !

ثانياً : لقد كانت « قادش برنيع » موضعاً له جانبان إحدهما مصر والآخر كنعان ، وكان لابد من اختيار أحد الجانبين : فإما التوجه جهة مصر والنظر إلى ما فيها واشتهاؤه ــ وهذا هو مبدأ السقوط والارتداد وإما التحرك نحو كنعان حيث راحة النفس المتعبة والاختبارات المتجددة !!

فإن من كان على الجانب المصرى منها فإنه ينظر باستمرار إلى مصر ويشتهى ما فيها وهنا يحدث الارتداد ، لأن مجرد الاقتراب من الأشياء القديمة يدعو إلى اشتهائها والوقوع فيها . وأما الجانب الكنعانى فهو موقع التطلع إلى كنعان والاشتياق إلى اختبارات جديدة ــ هنا روح الحياة يعتق ويحرر ويطلق ...!! ولكن عبور الخط

الفاصل هنا لا يتم إلا بالصلب وإماتة الذات للتخلص من حياة البرية التى هى طريق الرجوع إلى مصر :

هنا مكان اختيار لابد لكل من يصل إليه من أن يختار أحد الجانبين المصرى أو الكنعانى ــ وإذاً لابد من الإتيان إلى قادش برنيع لتحديد هذا الاختيار :

ربما سمعت عن اختبارات قوية عن الراحة والانتصار ، ووجدت نفسك مرة أخرى فى قادش وتطلعت إلى الأرض الشهية ورغبتها بحرارة كما هو حادث معك الآن فى هذا المؤتمر المبارك . وربما قابلت قديساً مجرباً ومتعباً ولكن الرضا والسلام يشعان على وجهه ، وذلك دفعك لأن تشتاق أنت أيضاً الحصول على السماء وأنت على الأرض هنا ، وعلمت أن كل ما يجب عليك عمله حينئذ هو مجرد العبور إلى كنعان الجميلة المباركة ــ أرض الحياة الفضلى ــ سماويات أفسس ــ ثمر غلاطية ــ ولكنك جئت إلى هذه الحدود الفاصلة واكتفيت بذلك !!

لقد جئنا إلى قادش برنيع بواسطة بعض التجارب الصعبة والظروف الخاصة فدفعتنا الحاجة المُلّحة لبلوغها ، ويجوز إننا صرنا فيها فى أوقات الانتعاشات والنهضات الروحية فبدت كنعان أمامنا والبرية خلفنا وامتلأت نفوسنا فرحاً ولمع الوجه وجرى السلام كنهر وهانت التضحيات وبدأت المواعيد تتحقق ، وعرفنا إرادة الرب فى حياتنا فانقشعت الغيمة وتزحزح الجبل الذى بدا مستحيلاً علينا عبوره ولمع الطريق بالمجد ــ ولكننا اكتفينا بهذا كله دون التحرك لدخول كنعان !!

لقد كان أحزن فكر لدى الإسرائيليين إنهم قريبين جداً من كنعان ــ على أبواب كنعان ــ ولكنهم لم يدخلوها ، لأنه لم يكن لديهم ثقة بأن الله يسهل الطريق فيسيروا فى قيادته للدخول . ولاشك أن أحزن فكر لدى الكثيرين فى الأبدية سيكون إنهم كانوا قريبين جداً من الله وكان بمقدورهم إمتلاك الحياة الأبدية بخطوة أو كلمة واحدة ، ولكن يا للأسف لم يتم ذلك وهلكوا لهذا السبب .

إنها مأساة أليمة لا تقبل التعويض أن يكون هناك من هو قريب من الباب والباب مفتوح ولكنه لم يدخل ، تقريباً مقتنع بترك الخطيئة وتقدير الفداء لتخصيصه ومع ذلك هلك .. ما أكثر من وصلوا إلى قادش برنيع ــ الحدود الفاصلة ــ وهلكوا بل أن موسى نفسه رأى الأرض و لم يدخلها حينئذ إلى أن أدخله المسيح إليها باظهاره مع ايليا فى جبل التجلى بعد قرابة ألفى عام ..

فإن كان الأمر كذلك أفليس من الأفضل ونحن فى عهد النعمة ــ العهد الجديد ــ أن ندخل اليوم كنعاننا المجيدة وأن لا نعطل البعض ممن لهم فرصة للدخول ... هل لك أن تُسلّم الإرادة الآن وتقول : يارب أريد أن أدخل الآن « كنعان » ، فإنك يا أخى قد تكون وصلت إلى قادش وصارت كنعان على مرمى بصرك تنتظر قرارك .

ثالثاً : لقد أصبحت قادش برنيع ــ وهى محطة دخول كنعان ــ مكان التوقف الغريب لدى شعب الله لأيام كثيرة : وما يسترعى الانتباه فى هذا الأمر إننا هنا فى « قادش برنيع » نجد كنعان قد بدت أمامهم والبرية خلفهم ، انتهت الرحلة الشاقة وتمهدت المستحيلات وبدا وكأن مواعيد الله تتحقق ، ولكن واأسفاه فقد حدث هنا توقف ، رغم أنه لم يكن باقياً على دخول كنعان سوى خطوات معدودات ، ولكن لقد لعب الشك دوره فاستولى الخوف واليأس عليهم مكان الشجاعة والإقدام ــ وهكذا طالت فترة مكوثهم هنا إلى مدى طويل كانت نهايته وقوع الهزيمة بهم وهى التى جلبوها على أنفسهم !!

لقد كنا ننتظر أن يحدث تسابق فيما بينهم لدخول أرض الموعد وهم فى « قادش برنيع » كما فعل الحلفاء فى الحرب العظمى عند فتح أورشليم ، ولكننا وجدنا بدلاً من ذلك توقفاً رهيباً أدّى إلى بقائهم فى البرية وعدم رؤيتهم لأرض الموعد ــ لقد احتملوا لعدة سنين الضيق والتجوال فى البرية فكان يُنتظر منهم الترحيب بسرور بأرض الحرية ــ لقد كانت كنعان على مرمى البصر ، وقد تنازل الله ليقدمها هدية لهم : « ها هى الأرض أمامكم ــ تجاه وجوهكم ، إنها سهلة الدخول ، ولا يوجد ما يشغلكم عن امتلاكها » . ولكنهم توقفوا ، وكان هذا هو أكثر الأجزاء ظلاماً من تاريخهم ، وبسببه وجدوا بدلاً من الفرح حزناً وشكاً وخوفاً وجهلاً وعبودية وخلطاً للأمور وانقلاباً للأوضاع وحرماناً من السلام الكامل !!

• • •

وهذا يمثل تاريخ العديد من النفوس التى تصرف عشرات السنين فى الشك والخوف دون احراز أى تقدم ــ إنها تحتاج إلى تكرار نفس الدرس لعلها تستفيد فتتغير حالتها ولكن هيهات فإنها لم تجد السلام بعد ولا حصلت على بركة الحرية : إن حالتها محزنة لأنها تعيش لأيام كثيرة . تحت أوضاع لا فائدة منها ، حتى أضحى من الأمور النادرة فى المسيحية العامة اليوم أن تجد نفوسنا تتمتع بسلام الانجيل الكامل ــ بل أن البعض ابتداء يعتبر الشك أمراً حقاً بل علامة اتضاع ، وقد انقلبت

الأوضاع رأساً على عقب حتى اعتبرت الثقة ادعاء وتعثرت النفوس بعد أن خلطت بين المسيح والذات ، وفقدت تمييز الأمور المتخالفة ، مما يستحق الاعتبار والتأمل وخاصة من قادة ومعلمى الكنيسة الرسمية ممن سيعطون حساباً عن خدمتهم وما يتخلف عنها من آثار !! قد جعلت الخطوات الأولى مبطئة وأوجدت التأخر بدل التقدم ، وان كان كثيرون منا وممن أشرنا إليهم يتظاهرون بعكس ذلك !!

وهذا هو الحادث اليوم عندما لا نتقدم لنثبت أقدامنا فى ميراثنا الروحى المُقَّدم لنا ، وذلك بالايمان ، إذ ليس هناك سبب للهزيمة أو التوقف سوى الشك وعدم الإيمان .

هكذا كان الحال مع ذلك الشعب ، لقد توقف قديماً ففقد فرصة دخول كنعان إلى الأبد ، وقد أدّى ذلك إلى رجوعهم للبرية ودفنهم هناك ، ولم ير أحد منهم فوق سن العشرين سنة أرض كنعان ما عدا سبط لاوى ويشوع وكالب فقط . لقد تحقق إسرائيل خسارته بعدم انتهازه فرصة هذا الامتياز ــ الدخول إلى أرض الموعد ــ فاعترفوا بخطئهم لا كجرم وقعوا به فى حق الله ، بل بسبب التأثر من نتائجه أى حرمانهم من دخول كنعان ، فحاولوا التقدم بدون أن يكون الرب معهم ، ولكن هيهات فقد انكسروا .... !

ويا للأسف كم من المرات يحدث هذا معنا بسبب عدم أمانتنا وعدم طاعتنا ــ فإن التوقف عن الطاعة إنما هو نتيجة لعدم الإيمان ــ وإن كان يجب أن نتعجب فليكن ذلك من أنفسنا بسبب « التوقف الروحى » الذى نعانى منه أشد المعاناة ، والذى لا عذر لنا فيه بل إنه يتعارض بشدة مع سمو الامتيازات التى تنتظرنا .. نعم ان تباطؤنا هذا أمر مخجل ولكن يجب أن نعترف به حتى ننهض ولا نضيع أوقاتنا سدى فى الأحجام والتأخر ...!

• • •

لقد أظهرت « قادش برنيع » أن شعب الله القديم قد خرج من العبودية ، ولكن العبودية لم تخرج منهم ... فما كان أكثر تناقض القلب البشرى فيهم ، فقد دعاهم الرب لصعود الجبل الفاصل وامتلاك الأرض بقوة الإيمان ، ولكنهم أحجموا ومن بعد يكون حسرة على ما فاتهم وتبدلت الحال ولكنهم رفضوا أن يحنوا رؤوسهم للحكم الإلهى الذى أمرهم أن لا يصعدوا فتجبروا وصعدوا فانكسروا وانهزموا !!

الفصـــل الرابـــع
كشف النوايا وإظهار الحقيقة

« انظر . قد جعل الرب إلهك الأرض
أمامك . اصعد تملك ... لكنكم لم
تشاءوا أن تصعدوا »
(تث ١ : ٢١ و ٢٦)

هنا فى « قادش برنيع » ظهرت حقيقة عدم إيمان الشعب كالمانع الأساسى لهم من دخول كنعان . وقد وضعهم ذلك بين النعمة والحكم : فإن الله الصادق فى مواعيده أمرهم بأن يتقدموا لامتلاك الأرض إلا أن الشعب تردد ورغب فى إرسال الجواسيس ورفضوا الصعود ثم حاولوه بدون أن يكون الله معهم ـــ وقد ظهر هنا صبر الله وصلاحه بازائهم ... ولكن وقد نفذ صبر الله من جهتهم أخيراً إذ رفضوا التقدم بالإيمان البسيط لم يبق لهم سوى التحول والرجوع إلى البرية والانتهاء فيها !!

لقد سبق للرب أن صنع مع هذا الشعب المعجزات وسار به فى الطريق حتى بلغ أبواب كنعان ، ومع ذلك فإننا نجد الشعب يقف عند هذه الأبواب متذمراً متمرداً عاصياً يرتد ويتآمر على قادته وناصحيه ويحاول أن يقتلهم ... لقد جربوا الرب عشر مرات وها هم فى قادش برنيع يجربونه وهم فى مواجهة أرض الموعد !!

وقد وجدنا بذلك فى « قادش برنيع » نقطة التحول فى تاريخ شعب الله ، فلقد كانت كنعان أمامهم ـــ هناك سيتمتعون بالله وكأنهم سيرونه وجهاً لوجه ، بينما خلفهم البرية بما فيها من فخ الصياد والوباء الخطر ـــ ومع ذلك فهذه هى التى اختارها بنو اسرائيل على الراحة والشركة مع الله ... وهكذا رجع إسرائيل بدلاً من أن يتقدموا ويدخلوا كنعان وكان معنى ذلك الخيبة المتناهية والتذمر الشرير على الله !!

• **كشف النوايا :**

لقد دلّ الموقف سالف الذكر على تقلبات الشعب القديم المتعاقبة رغم معاملات الرب اللطيفة معهم ــ لقد ظهر كرم الرب وسخاؤه منذ البداية فى تقديمه أرض كنعان لشعبه كعطية بلا مقابل ــ كانوا يعرفون أن الرب أخرجهم من أرض مصر ليعطيهم هذه الأرض ، وقد سبق فى نشيد الانتصار « ترنيمة موسى » أن غنوا للرب إذ كانت عيونهم شاخصة إليه معلنين ثقتهم فى أنه سيعطيهم الأرض ، والشعوب سترتعد بخبرهم ، ولكنهم تقلبوا هنا وأخذتهم هم الرجفة والرعدة بسبب عدم إيمانهم ... كان المنظر السابق مفرحاً لم يكن فيه ذكر صعوبات ولا تكبير حجم الأعداء ولكن هنا فى قادش تغير المشهد ، ومن ثم فإننا لا نجد فى المشهد سوى البكاء والنوح ، فإن توقفهم عن الطاعة كان نتيجة لعدم إيمانهم وكان ذلك سبباً لكل تقلباتهم ، وهكذا الأمر معنا إذا فكرنا فى الصعاب يضعف إيماننا ويتبدد رجاؤنا وتضيع ثقتنا ... أما إذا فكرنا فى الله سرنا من نصرة إلى نصرة ! إن النجاح أو الفشل يتعلق بموقف الإنسان من الله والثقة به أو التمرد على أوامره ووصاياه !

هذا ما حدث بالنسبة للشعب القديم هنا فكشف عن نواياهم وكيف كانوا ناظرين إلى الظروف والمعطلات ، الأمر الذى دفعهم إلى العصيان الإرادى على قول الرب ، والتذمر فى خيامهم وعدم الرضى والوقوع فى حق الرب بل تجاهل محبته وقصده المحيب نحوهم ، الأمر الذى انتهى بهم إلى عدم انتظار نصرة بسبب الرهبة والخوف وكنتيجة لابد منها لعدم الثقة بالرب ، وهذا ما ذكره لهم موسى صراحة فى تثنية ٣٢:١ بقوله : « ولكن فى هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلهكم » مما نتبين منه أنه لم يكن لهم إيمان ليروا انتصار الله على كل الصعاب ، وبدلاً من ذلك رأوا الصعوبات مجسمة ولم يروا الله .. !

ولكن لا يزال الأمر الذى كان يخصهم يعنينا نحن أيضاً فإننا إذ ننظر بالإيمان لله يختفى كل ما عداه فنهتف له هتاف النصر كما عند البحر الأحمر ، ولكن إذ نعكس النظرة يختفى الله فيظهر الأعداء وتتعالى الصعوبات :

ونعلم أن كثيرين يواجهون مواقف صعبة حتى وهم فى طريق الواجب الذى يلتزمون به ، ولكن كم تختلف حالة الذين يتألمون فى مواقف يكون فيها الله معهم عن مشاعر أولئك الذين يختارون لأنفسهم وضعاً يقاومون فيه مباشرة المشيئة الإلهية ! لأن الله يسمع فى حالتين فقط وهما الانسحاق العميق والضمير الصالح ، لأنهما

يقودان إلى البر العملى ، ولكن فى طريق العصيان والإرادة الذاتية لا يجب أن ننتظر الحضور الإلهى معنا بأى حال من الأحوال ... ! إنها أقصى غباوة أن نتصور أن فى مقدورنا أن نجعل الله معنا ان كانت طرقنا غير مستقيمة ... إن الاتكال على الرب مع فعل الشر هو تحويل نعمة الله إلى دعارة : لهذا فمن الأهمية القصوى أن يسعى المسيحيون فى تدعيم البر العملى بكافة نواحيه !!

- **إظهار الحقيقة :**

فى ضوء كشف النوايا تظهر حتماً الحقيقة ــ وهى كامنة فى الغالب وراء الظاهر ، فتبدو حينئذ الخفيات مرئية وواضحة ــ وقد ظهرت بذلك الحالة السيئة التى كانت عليها أنفسهم وبدا جو الشكوك المظلم بسبب الانشغال بالذات والصعوبات ووصل بهم الحال إلى استجواب الرب والتشكى عليه :

ولكن الأمر مؤكد لا يحتاج إلى مناقشة ــ وهو أن الشك لن يتغلب على الصعوبات ... والاعتراف الخارجى لن يكفى هنا .. ومن ثم فإن الشعب الذى صنع عجلاً فى « حوريب » ليعبده لم يكن بغريب عليه أنه هنا فى « قادش » أراد أن يقيم رئيساً ليرجع بهم إلى مصر : ولم يقف عند هذا الحد فإن هذا الشعب نفسه الذى هتف عند البحر بعد عبوره قد صار منحطاً للدرجة التى فيها أظهر موقف حدث فى تاريخ موسى لامتحانه ... وهكذا فشلوا فى تعلم دروس الماضى ، وقد أدى بهم ذلك إلى مكوثهم فى دوران حول نفس الأرض مراراً عديدة !!

نعم لقد أظهروا انسحاقاً وإدانة لأنفسهم ولكن بدموع كاذبة وبلا توبة صادقة ــ شبيهة باعتراف شاول لصموئيل فيما بعد ــ يا له من استهزاء : اعتراف شكلى بدون احساس قلبى.، صورة محزنة لتظاهر فارغ لم يكن من ورائه جدوى ..

كانت هذه هى الحال مع إسرائيل هنا بعد أن انكشف ما وراء الظاهر ، فأصبح إسرائيل عندئذ غير قادر على مواجهة الأموريين والعمالقة ــ وهذا هو الدرس الخطير عبرة كل الأجيال والإنذار الدائم لنا وهو أنه لا يمكننا الاعتماد على الله ان كنا غير سالكين فى طريق الطاعة ، لأن الله يتعامل مع الحقائق الأدبية فى الدين ولن يقبل صورة التقوى ، إذ هو يطلب الحق فى الباطن دون أن ينخدع بالتظاهر به لأنه يرى ما يكمن فى الأعماق وراء الظواهر ! ولذلك فإن اعتراف الشعب هنا ودموعه فى « قادش » لم يقبلهما الرب لأنهما كانا مرتبطين بالإرادة الذاتية والعصيان ، فلم يكونا بذى فائدة بل كانا إهانة ضد الجلال الإلهى !!

الفصـــل الخـامـــس
الامتحان الكاشف لحالة الإزدواجية

« وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا إلى البرية على طريق بحر سوف ... فرجعتم وبكيتم أمام الرب ولم يسمع الرب لصوتكم ولا أصغى إليكم » (تث ١ : ٤٠ و ٤٥)

عنوان تأملات هذا المساء من نوع خاص غير مألوف يصعب تركيز التفكير فيه ولذلك تميل الأكثرية إلى تجاهله ـــ إنه موضوع الامتحان ومضمونه : « التقدم نحو كنعان أو الرجوع إلى مصر » ، وهكذا كانت « قادش برنيع » ـــ حيث أطالوا المكوث وخصوصاً بعد هزيمتهم ـــ موضع امتحان لهم ! وكانت نهاية هذا الامتحان الحتمى التحول والرجوع إلى البرية ...

وحقاً أنه من الأمور الغريبة هنا أن نرى كيف أنه بعد أن أصدر الله قرار حرمانهم من دخول كنعان ـــ أن الشعب بكى جداً وأرادوا أن يصلحوا الموقف معترفين بالخطأ ، ولكن ذلك لم يغير موقف الله من جهتهم ولا هو رفع قرار الحرمان لأن حزنهم لم يكن حسب مشيئة الله أى مما ينشيء توبة بلا ندامة فأرادوا أن يعوضوا ما فاتهم بالاندفاع ، وبدون أن يسووا المسألة مع الله مكتفين باعتراف شكلى بقولهم : « فإننا قد أخطأنا » ولكن الرب بقى بعيداً عنهم وتركهم يُضربون وينكسرون !! وحيث إنهم قد فشلوا فى الامتحان ، أصدر الله حكماً بحرمان هؤلاء المتمردين من دخول كنعان ، وتركهم يتجولون فى البرية فى حلقة مفرغة إلى أن سقطت جثثهم فى القفر ...!!

فلقد حزن إسرائيل هنا فى « قادش » ليس بسبب الاحساس بالذنب بل بسبب

النتائج المحزنة لسلوكهم المعوّج ، ومع أنهم بكوا ، لكن بكاءهم لم يكن بكاء التائبين بالحق ، ولذلك رفض الرب أن يسمع لصوتهم ــ فإن اعترافهم ودموعهم فى « قادش » لم يكونا حقيقيين ، إذ أنهم كانوا قد تركوا الله فى عدم إيمان فتركهم الله لطيشهم وغرورهم يحملون ذنوبهم أربعين سنة كعدد أيام تجسس الأرض ، فيعرفون ابتعاد الرب (سفر العدد ١٤:٣٤) ولا شك أن أمَرَّ شيء ابتعاد الرب :

لقد رفضوا أن يسيروا مع الله بإيمان فرفض الله أن يسير معهم وهم فى عدم إيمان ــ فانهزموا شر هزيمة ، لقد وجدوه أمراً صعباً قبول حكم التأديب الذى اقتضته سقطاتهم ، فحاولوا الهروب للتخلص من الظروف التى هى نتيجة التأديب .

والدرس الذى نستفيده نحن من وراء ذلك هو أنه خير لنا أن ننتظر بالإيمان فى حلم وصبر إلى أن يفتح الرب الباب لدخول كنعان من أن نقتحم الموقف فتتحطم ... لقد ظن الشعب قديماً أنهم شيء هنا وهم لا شيء . وقد حصدوا نتيجة الاقتحام والغرور ــ فحسبوا أنفسهم قادرين الآن بقوة العزم والإرادة البشرية ولكنهم وجدوا نفس الصعوبات واقفة فى طريقهم ولم يستطيعوا التغلب عليها ...

فلنترك مناقشات عدم الإيمان جانباً لأنها لا تجدى نفعاً ، وكذلك ترتيباته غير المجدية ، وبذلك نتعلم أن نرفض دموع « قادش برنيع » الكاذبة ، فإننا لن نقف عندئذ عند حد أن يكون عندنا نظرية حياة الإيمان بل تكون حياتنا هى حياة الإيمان ، وشتان بين هذين الأمرين !!

● **الامتحان الكاشف :**

لا شك أن المرحلة التى يعانى منها معظم المؤمنين حالياً ــ كما حدث مع الشعب القديم هى « التوقف » وهو موضوع الامتحان الحتمى ، الامتحان الكاشف لحقيقة الحالة ــ فقد خرج الشعب جميعه من مصر ولكن جثثهم سقطت فى القفر (عب ٣:١٦و١٧) لأنهم أسخطوا الرب بعدم إيمانهم ، وبالتالى بالرغم من أن جميعهم خرجوا من مصر لكنهم لم يدخلوا كنعان ــ والدرس الرهيب جداً هو : التقدم إلى نقطة معينة ورفض تجاوزها إلى ما وراءها ... هذه علامة محزنة لأن السير مع الرب تقدمى بطبيعته لا رجوع فيه ولا توقف ، وهكذا دخل الشعب القديم ــ كما هو حادث لشعب العهد الجديد وخاصة فى الوقت الحاضر ــ **فى امتحان التوقف** ، وقد كشف عن حالة الكثيرين بيننا فوآسفاه ! لأن من يتوقف منا قد يفقد فرصته

فى امتلاك نصيبه إلى الأبد !! وهذا الامتحان يمثل الدور السلبى للإرادة عند القاعدين الذين يسترخون فى موضوع ما ويستسلمون ، ومن هنا يأتى هذا التساؤل : تُرى لماذا هذا التوقف ؟ وما الذى يدعو إليه ؟ ويجيب الكثيرون عن ذلك بإبراز الصعاب التى تضعف الإرادة مما يسبب الاكتفاء والتوقف : وهذا يضيف إلى ما سبق **امتحان الصعوبات المتحدية** ، تلك الصعوبات الواقفة فى طريقنا كالجبل الذى يفصل بين قادش برنيع وكنعان ، ولكن قصد الله منها ليس أن يدفعنا للفشل ، بل أن يحركنا للجهاد الذى به نبلغ المراد فنغلب هذه الصعاب وننتصر عليها ــ الجبل العظيم ينتقل بالإيمان ، يتزحزح من أمامنا ويصير سهلاً ، وذلك بسبب وعد الله لنا بأن نتقدم ونمتلك أرض كنعان ولا نقبل تشكيك المسيحية المذهبية فى هذا الشأن التى تجسم صعوبات الامتلاك أو تصرف النظر عنه بمواقفها الخاصة التى تتمسك بها ، وهى بذلك لم تقدر تسهيلات النعمة ولم تقو على تحدى العقبات التى فى طريقنا للامتحان ! الأمر الذى دفع الكثيرين إلى حياة الجمود والتكاسل ، وفقد القدرة على ممارسة الاختيار بفعل حرية الإرادة الممنوحة من الله للجميع على حد سواء !

ولا شك أن النتيجة المحزنة لعدم النجاح فى هذا الامتحان نجدها فى ما يمكن أن نسميه « **بالرفض المتبادل** » ، الأمر الذى يدفعنا لأن نسكب دموعاً غزيرة على كثيرين كانوا يتظاهرون بالروحانية لكن ظهر فيهم الارتداد ــ تذمروا فأصدر الرب حكماً عليهم ــ كما فى القديم ــ بأن لا يرى إنسان منهم الأرض ولن يدخلوا راحته ! فلنتنبه لأنفسنا ولنحذر من أن نقع تحت حكم الحرمان هذا فنحسر الجعالة ...

• • •

فلنترك الشائعات الكاذبة تموت بعد أن تميت أصحابها كما فعلت بعشرة الجواسيس ، ولنتعلم أن ندخل الله فى كل مسألة ، فإن إدخاله يسكت كل الأسئلة ويجعل كل الصعاب ترحل ، إنه جواب الانتصار على كل تساؤل ، وهو دليل الثقة المطلقة فى إلهنا وقبول كلمته كالحكم الذى يفصل فى كل الأمور والقرار النهائى الذى يقرر كل الأشياء ، فإن تداخل الله واهتمامه بكل ما يتعلق بشعبه بموجب صلاحه اللا نهائى ، يقودنا إلى الإيمان !!

• **حالة الازدواجية :**

نعلم يقيناً أن هذه تجربة رهيبة فى العالم الدينى ـــ تجربة الازدواجية ـــ وهو أن يكون المتصف بها ذا لسانين ووجهين وحياتين : حياة ظاهرية ينعكس عليها لمعان مصطنع يبدو معه صاحبها كقديس أو ملاك ولكن وراء حياة أخرى خلفية تنم عن القسوة واتخاذ المواقف المضادة ! إننا هنا أمام تجربة التظاهر والرياء التى وقع فيها الشعب القديم ولكن مأساتها تتكرر إلى اليوم ، وليس بغريب أن « قادش » كانت الموضع الذى فيه هذه الحالة فأثبتت أن الشعب القديم كان شعباً متقلباً متلوناً يتظاهر بخلاف ما يبطن ، فلم يكن تدينه قاطعاً وذلك بسبب خطية الرياء ـــ التمثيل ـــ وهى التى يكرهها الله وهو إذ يكشفها يعطى أصحابها فرصة التخلص منها إذا أرادوا. وإلا فإنها تمتص قواهم وتدفعهم فى النهاية إلى السقوط فى القفر بلا رجاء لأنها تعنى ضمناً عدم احترام قانون الله والاكتراث بمطالبه لكى يكون هناك تطابق للمثالية التى يريدها الله فى حياة شعبه ، الأمر الذى دفع بالاجماع إلى تعريف التدين الحقيقى بأنه ليس مجرد عقيدة بل هو سلوك وحياة !!

لذلك قصد الله فى منتصف هذا المؤتمر أن يسلط الأضواء على هذه الحالة لكى ينقذنا منها ، وقد قبلنا التكليف للتصحيح لأن الرب لا يطيق التمرد من مخلوق ما وبالأكثر فيمن يعرفونه فقد أعلن خصومته ضد شعبه على ممر الأجيال داعياً إياهم إلى التوبة والرجوع .. ابتداء بالقادة والرؤساء !!

يتضح ذلك من اختيار الجواسيس الذين أرسلهم موسى لتجسس الأرض واحد من كل سبط وصف « برئيس » وقد تعينوا بالاسم وأخذوا مراكزهم وأدّوا مهمتهم بمنتهى الدقة فقد رجعوا من كنعان حاملين أثمارها وأعطوا تقريراً عنها بأنها أرض جيدة جداً ، وكنا نظن إنه مادام الأمر كذلك معهم ، فلابد أن يكونوا هؤلاء على رأس قائمة المؤمنين ، ولكن يا للهول يتجسسون كنعان وليس في قلبهم ذرة إيمان فى امتلاكها !! يحملون أثمار كنعان ولا يؤمنون بدخولها !! يا له من أمر رهيب مرعب أن يكون الذين نتصور فيهم الإيمان غير مؤمنين ـــ يتظاهرون بالإيمان دون أن يكون فيهم إيمان حقيقى !! إيمانهم نظرياً فقط ولا تأثير له على حياتهم .

والمأساة تتكرر اليوم فى قادة الدين العصريين ورؤسائه الحاليين ، الأمر الذى يجب أن نحذر منه بشدة حتى لا نعيش فى عالم النظريات والخرافات ، نحمل أثمار كنعان

ولكن زورا وبهتانا ... إننا نعلنها مدوية هنا بأننا نرفض هذه النوعية من الحياة رفضاً باتاً ــ نرفض التظاهر بما ليس فينا ، نرفض حالة الرياء والازدواجية ، ونريد إيماناً واقعياً فى الله يصحح حياتنا ويضع فى قلوبنا مخافة الله ، يعطينا التفسير الصحيح لحياة الإيمان فيعلو بنا فوق التفاهات والسخافات المنتشرة ، فننتقل بذلك من الحياة الظاهرية التى تقوم على الاعترافات الشكلية والألفاظ الجوفاء إلى حياة التشرب بروح الدين الصحيح ... ولنتعلم الدرس فإن نهاية الازدواجية بكل تأكيد هى السقوط فى القفر وقد يؤجل الله تنفيذ قرار الحرمان لمثل هؤلاء من دخول كنعان لكنه يوقع عليهم عقاب الفناء تدريجياً وعلى مراحل بعد أن يعود بهم إلى التيه فى البرية إلى أن يفنى ذلك الجيل وهذا عقابهم الذى يستحقونه من قبل إله رهيب وقدوس !!

الفصـــل الســـادس
مواجهة بين الإيمان والعيان

« قال كالب إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها ، وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد »
(سفر العدد ١٣ : ٣٠ و ٣١)

ونحن نتابع التأمل فى هذه الوقائع الجديدة ، الرهيبة فى معناها وتطبيقها ، قد بدأنا ندخل الآن فى مواقف حساسة للغاية نحن فى أشد الاحتياج للانتباه إليها لأنها تُشكل عناصر هامة فى موضوع المواجهة بين الإيمان والعيان ـــ وهو الذى بلغناه هنا ، وهذه المواقف هى :-

• **فكرة الجواسيس :**

بالرجوع إلى سفر التثنية الاصحاح الأول الأعداد ٢٢ـــ٢٤ نرى أن بداية فكرة إرسال الجواسيس نبعت من الشعب نفسه بسبب عدم إيمانه حيث يقول موسى عن ذلك : « فتقدمتم إلىّ جميعكم وقلتم دعنا نرسل رجالاً قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض ويردوا إلينا خبراً عن الطريق التى نصعد فيها والمدن التى نأتى إليها . فحسن الكلام لدىّ فأخذت منكم اثنى عشر رجلاً . رجلاً واحداً من كل سبط »

كان هذا هو موقف العيان وهو كذلك دائماً ، أما الإيمان فلا يحتاج إلى جواسيس لأنه يكتفى بكلمة الله ووعده وحضوره للاتمام ... هنا يظهر إقحام التداخل البشرى فى طريق العطايا الإلهية عن طريق تبرير فحصها والاحاطة بالصعاب التى تبدو محيطة بها ، وهذا يخالف الإيمان الحقيقى الذى يقبل ما أعده الله ويتقبل عطاياه بسهولة واشتياق ورغبة صادقة لأنه يثق بالرب ثقة مطلقة ويرفض مناقشة ذلك عقلياً ، وهذا

ما فات مجموع المسيحيين الاسميين والمذهبيين الذين توقفوا عن أخذ مثل هذا النصيب المبارك فحرموا أنفسهم من مزاياه التى تفوق التصور ... ومن ثم كان مشروع إرسال الجواسيس من ثمرة عدم إيمان الشعب ليس إلا ، لأن القلب الواثق فى الله والمتكل عليه لا يفكر فى أمر كهذا قط !!

• • •

يتضح من ذلك إن إسرائيل « الشعب القديم » لم تكفه شهادة الله نفسه عن الأرض ولا مواعيده فى شأن دخولها فطلب التجسس ، أما موافقة الرب على هذا الأمر هنا فإنها تقع فى دائرة السماح ليس إلا ، ولا تبرهن قط بأن الشعب كان محقاً فى هذا الطلب ... فمع أن النص الوارد فى سفر العدد ١٣:١ــ١٦ يبدأ بالقول : « ثم كلم الرب موسى قائلاً أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل . رجلاً واحداً من كل سبط من آبائه ترسلون . كل واحد رئيساً فيهم .. » وتلا ذلك ذكر مكان إرسالهم وأيضاً أسماؤهم : إلا أن أمر الرب هنا لموسى بأن يرسل الجواسيس إنما كان تبعاً لانحطاط حالة الشعب الأدبية والروحية (وقد تكررت هذه الحالة عند رغبتهم فى إقامة شاول ملكاً) ، مما يؤكد أن التجسس كان بدافع رغبة الشعب ، أما خطة الله الأصلية فقد كانت أن الشعب يثق فيه ويتقدم لامتلاك الأرض مباشرة ــ بدون تجسس ــ ولكنه إذا رأى ضعف إيمانهم سمح لهم أن يأخذوا طريقهم !!

لقد كان تصرفهم هذا تصرفاً عيانياً صرف لأن الأرض لم تكن تحتاج إلى شهادة من إنسان ــ لأن الرب دائماً يقدم الأفضل لصلاحه اللامتناهى ــ ولكن عدم الإيمان يتجه دائماً إلى تجسس الصعوبات ولذلك يطلب دائماً أن يعاين وأن يفحص ، وبذلك بدأ خطؤهم الأول وكان فى إرسال الجواسيس وتلاه الخطأ الثانى وتجسم فى قبول تقرير عشرة الجواسيس منهم ، وأما الخطأ الثالث فكان اقتراح إقامة رئيس والرجوع إلى مصر ــ وهكذا كان عدم الإيمان الذى ظهر فى فكرة تجسس الأرض العائق الوحيد الذى منع إسرائيل من دخول كنعان ــ وكان لابد من حصاد لعدم الإيمان ظهر فى نتائجه القاسية !!

• **إشاعة المذمة :**

فى المشهد الذى أمامنا الوارد ذكره فى سفر العدد الاصحاح الثالث عشر ابتداء

من عدد ٢٦ نقف على الخبر الذى رده الجواسيس إلى موسى وهارون وكل جماعة بنى إسرائيل ومعهم ثمر الأرض .. فأخبروا وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً ، وهذا ثمرها عدد ٢٧ وقد شهدوا بذلك عن صدق ما قاله الله عن الأرض ، ولكنهم أضافوا إلى ذلك ذكر الصعوبات فى عدد ٢٨ بقولهم :

غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً .. وأيضاً قد رأينا بنى عناق هناك العمالقة ... والحثيون .. واليبوسيون .. والأموريون .. والكنعانيون .. »

وهكذا جاء تقريرهم عن الأرض متناقضاً : جانب منه صحيح يشهد لحسن اختيار الله لشعبه والجانب الآخر مضاد لذلك على طول الخط فلا يشجع على التقدم لامتلاك كنعان : وهذا ما سرى إلى قادة المسيحية اليوم وهم يتجسسون ميراثهم الروحى ويتهيبون فى نفس الوقت التقدم لأخذه باعتباره معطى لهم من الله :

هذه هى التجربة الدائمة التى بدأت بما جاء على لسان الجواسيس القدامى بأنهم قد رأوا مدناً عظيمة وأسواراً منيعة وجبابرة طوال القامة ــ كل هذه الأشياء رأوها لكنهم بالأسف لم يروا الرب ، لأن هذه يراها العيان وأما هو فلا يراه سوى الإيمان ــ الإيمان الذى يرى الطريق واضحاً فيلتزم بالسير فيه بدون النظر إلى النتائج التى يجب تركها تماماً فى يدى الله ، لكن السير بالعيان دائماً يتوقف دون ذلك لأنه ينظر إلى الظروف والصعاب » أما لغة الإيمان فإنها تقول ، « صحيح إن المدن التى أمامنا عظيمة ولكن الله أعظم ، والأسوار حقاً عالية ولكن الله العلى أعلى منها وهو فوقها ، والجبابرة أشداء ولكن الرب أشد وأقوى ــ حقاً ما أبعد الفرق بين حساب الإيمان وحساب العيان ، فإن الإيمان يقابل الله قبل أن يتحرك لمواجهة الصعوبات ، أما العيان فبعكس ذلك فإنه ينظر إلى الصعوبات ثم يسير منها لله ــ الإيمان يبتدىء بالله وأما العيان فيبتدىء بالصعوبات ، وهذا هو الفرق الجوهرى بينهما ، ومن المعلوم أن لغة عدم الإيمان تقاوم لغة الإيمان على طول الخط ، وقد تأخذ الجولة الأولى وتبدو متغلبة على لغة الإيمان وذلك إلى حين !!

• • •

وفى الواقع العملى نجد أن الإيمان لا يجهل العواقب ولا يقتحم بدون تبصر لكنه

يدخل الله الحى فى الأمر ، يتطلع إليه ويتكل عليه ، وهذا هو سر توقعاته وانتظاراته التى عبّر عنها كالب بقوله : « إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها » ، أما العيان متمثلاً فى الجواسيس العشرة فينظر إلى الصعوبات ويقول « لا نقدر » ــ هكذا الحال فى كل زمان ومعنا الآن ...

الإيمان يستطيع أن يرفع النفس فوق تأثيرات جميع الظروف المحيطة بها ، أما عدم الإيمان فإنه يُخرج الله من القضية فلا يُوجد له ذكر ولا يخطر على بال ــ وهذه قاعدة عامة صحيحة متعلقة بعدم الإيمان فى كل العصور والأزمان ... ولذلك وقف بمعزل عن عشرة الجواسيس الذين قاوموه وعارضوا أقواله وانتصر ... بل استطاع وهو يُقدّم شهادته عن الأرض إلى موسى أن يشد انتباه الشعب إليه أثناء تقدمه لتفنيد المذمة التى أشاعها إخوته .

• **التحول المشئوم :**

قدم عشرة الجواسيس تقريرهم علناً أمام الشعب وذكروا فيه العمالقة الساكنين فى الجنوب ما بين البحر الميت والبحر الأحمر (أى إنهم كانوا يشغلون حدود كنعان الجنوبية) ، والحثيين فى الجبل (فى الجزء الجنوبى من كنعان) والكنعانيين بقايا السكان الأصليين عند البحر (أى ما بين الأرض والبحر المتوسط) ، وإننا نجد هنا أن سلوكهم بالعيان قد سرت عدواه فى الشعب فأصبح مصاباً بتأثير تقريرهم بعدم الإيمان ، ورغم ذهاب الجواسيس وعودتهم فإنه لم يكن هناك إيمان ليثق بأن اليد التى قادت اثنى عشر رجلاً إلى الأرض قادرة أن تقود الشعب كله وتدخله كنعان ... !

ومن المؤكد أن الإيمان يستحضر الله فى كل الظروف ، فيصير الظلام نوراً والصعب سهلاً ، أما العيان فيبعد الله خارجاً فيصير كل شىء مظلماً : وذلك لأن عيون الإيمان مغطاه دائماً بالرب ولذلك لا يمكن أن ترى الصعوبات ، وأما عيون العيان فإنها مغطاة بالظروف ولذلك لا يمكنها أن ترى الله ــ وهذا هو التحول المشئوم الذى يجب أن نحذر منه وذلك لأن الإيمان ــ فقط ــ هو الذى يرى الله كالجواب الوحيد لكل الأسئلة وذلك لأنه الشىء الوحيد الذى يعطى الله مركزه الحقيقى ــ وهذا هو الذى يغيّر المشهد بأسره ...!

أما ذلك الشعب فبسبب إشاعة مذمة الأرض التى أذابت قلوبهم قرروا الرجوع

إلى مصر ، ورفضوا الدخول إلى الأرض البهية واحتقروها إنهم رمز لمن لا يدخلون راحة الله أبداً ، فلقد أقسم الرب فى سخطه وغضبه بأنهم « لن يدخلوا راحته » (عب ٣:١١) نماذج لمن يماثلونهم إلى اليوم !!

وحقاً ما أكثر الذين فشلوا فى دخول كنعان على مجرى التاريخ إلى يومنا هذا « إذ لم تكن كلمة الخبر ممتزجة بالإيمان فى الذين سمعوا » (عب ٤:٢) : ولذلك أضحت كلمة الخبر هذه عن دخول راحة الله بلا جدوى أو نفع لسبب عدم الإيمان !!

• • •

وقد ثبت من هذا التحول المشئوم أن اقتراح إرسال الجواسيس صدر من الشعب نفسه بسبب عدم الإيمان ، لكن موسى وقد تصور إنهم مخلصون فى تقديمه أعطى موافقته على الاقتراح ، وعند استشارة الله سمح لهم بأن ينفذوا اقتراحهم هذا ، وكانت النتيجة خطيرة بالنسبة لهم ، أظهرت خطيتهم وغباوتهم ، ونفهم من فاتحة الاصحاح الثالث عشر من سفر العدد أن الله منحهم طلبتهم هذه لامتحانهم وكعقاب لهم على عدم إيمانهم وانعدام ثقتهم فيه ــ لقد كشف موسى هذا الجانب المظلم من تاريخهم ليبين أن عدم إيمانهم هو الذى حرمهم من امتياز دخول أرض الموعد ...

فقد أحضر الرب الشعب إلى حدود الأرض ، وها هو موسى يخبرهم بأن يصعدوا لامتلاكها ، وأما هم فقد اقترحوا إرسال جواسيس ، وقد وافقهم موسى ، ويبدو أنهم حصلوا على تصديق الرب على هذا الأمر لأنهم ذهبوا حسب قول الرب ولكن ظهر أن تقديم هذا الطلب إنما كان بسبب ضعف وعدم إيمان الشعب : **كم من أشياء يسمح الرب لنا بها بسبب ضعفنا ، لنشرع فى تنفيذها بمجرد أن تصبح موضوع الأمر منه ، على أن نتيجتها تكشف عن طرقه ، وتبين أنها ترجع إلى نقص الإيمان .** ورغم أن نتيجة ذلك تثبيت إيمان الأمناء إلا ن عدم الإيمان لابد أن يحصد ما زرع ــ هكذا الحال فى هذه الحالة وفى كل حالة مماثلة ــ جاء التقرير لموسى فى روح طيبة ولكن سرعان ما قدمت الصعوبات نفسها ، وعدم الإيمان يقيسها على مدى قدرة الإنسان بدلاً من قدرة الله ... ومن ثم فقد سحب الشهود كلماتهم المدمرة من مشاعر الشعب غير المتزنة وعبّروا عن حكمهم الذى أسسوه على عدم الإيمان ...

وإذ قد ابتعدوا فى القلب عن الرب سقطوا فى تيار عدم الإيمان فإنهم كذبوا الاقتناعات التى كونوها عندما تمتعوا برؤية طيبة الرب فجاءوا إلى اعلان مذمة الأرض

أى أنها رديئة ، وانتهوا إلى تبرير أنفسهم بشكوى الله ــ فإنه الآن لم يعد موسى الذى أحضرهم هنا بل الله نفسه وهم يتهمونه بذلك . ما أكثر أن يكون الأمر هكذا إن الصعاب التى كشفت عن عدم إيمان القلب تتكلم شرًا عن المركز الذى دعانا إليه الرب والذى ذقنا فى وقت ما بركته ــ وعدم الإيمان هذا إنما كان استعراضاً غريباً للانحراف البشرى وذلك عند التأمل فى عجائب الله التى عملها لصالحهم فى التجلى اليومى لحضوره كقائدهم وحاميهم ... وفى رد الفعل فيهم لأن عدم الإيمان يتبعه العصيان دائماً ... ولا شك أن ذلك ينبع من نسيان الله نفسه !!

- **نهاية المواجهة :**

لقد رأينا فى كل ما تقدم مجهودات الروح القدس لقيادة الشعب فى طريق الطاعة المرسوم أمامهم كما رأينا تألُّم قلب الله فى تقديمه كل البواعث الممكنة لإنهاض ذلك الشعب المسكين للطاعة والبركة رغم تخوفه وتوقفه وأحواله المتقلبة . ونأتى الآن إلى نهاية المواجهة بين الإيمان والعيان ، ونرى فى هذه النهاية كيف فقد هذا الشعب روح الانتصار وذلك لسببين :-

السبب الأول : الإرتياب والشك :

فإن الجواسيس العشرة أذابوا قلب الشعب بإشاعة مذمة الأرض إذ تحدثوا عن المدن الحصينة والعمالقة المعتزين فيها ــ وقد كان هذا الحديث مخيفاً لشعب ضعيف عاش فى الاستعباد قروناً طويلة ولم يألف حياة الحرية وما تكلفه من تبعات ــ وأغلب الظن أن الشعب تخيل العمالقة فى صورة أرهب وأفظع وأشد مما هم عليه ، فإن الفزع دائماً يخلق من الأوهام حقائق ومن الحقائق صوراً أعظم وأضخم ، بل إنه يُفقد الإنسان فضيلة التأمل والتبصر حتى إنه لينسى العبر والعظات التى ترسبت فى أعماق ذهنه مسجلة بعض ماضيه ، بل إنه يضفى عليه من روح التشاؤم ما يجعله يمسخ الحقائق (فيكبرها ويجسمها) ويزنها بموازين بعيدة عن الدقة والحق والواقع مما يجعل الأمور مختلطة عليه ومتخالفة !!

السبب الثانى : تأثيرالنسيان وعدم التذكر :

وليس أدل على ذلك من أن الشعب الذى رأى ما فعله الله بالمصريين من أجلهم وكيف أوقع ضرباته على مصر ، وشق البحر الأحمر لعبورهم وأهلك فرعون وجيشه ... هذا الشعب نفسه نسى كل هذه الأمور عندما أتى إليه الجواسيس بخبر

المدن الحصينة وسكانها الأقوياء بل أكثر من ذلك – وهذه هى النتيجة التى لا مفر منها ــ أنهم رأوا الموت فى البرية أو فى مصر لأفضل من محاولة دخول كنعان ، بل أنهم رأوا أن الله ما جاء بهم من أرض مصر ومن البرية إلا لينتقم منهم ويجعلهم لقمة سائغة للعمالقة والعناقيين ــ وهكذا فقدوا إيمانهم ففقدوا روح الانتصار بل وكل شىء !! وذلك لأن سر نصرة الإيمان فى سائر الأحوال أن له ثقة ويقينا فى الله وهما روح الانتصار لديه فلا تزعزعه شكوك أو أوهام ، حتى أنه بالتالى لا يستشعر عند الشروع فى تنفيذ أمر الرب بصعوبة ما ، بل إنه يرفض بتاتاً إشاعة مذمة الأرض والظن بأن امتلاكها مستحيل !!

الفصــل السابــع

الوعود الإلهية الضامنة للدخول

« إنْ سُرَّ بنا الرب يُدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها ... إنما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم والرب معنا ... » (سفر العدد ١٤ : ٨ و ٩)

سبق أن وقفنا على فعل الإيمان وكيف أنه يواجه الشدائد ويرحب بالمصاعب ويحيا بالجهد وينمو بالعمل والكد ، بل هو يعرف أنه مهما كانت مدن الأعداء حصينة فهى لا شيء أمام الله ومهما كانت الأسوار عالية فإنها لن تعلو عليه ومهما كان سكانها جبابرة أقوياء فإنهم لن يقفوا أمام قوة الله وجبروته بأى حال من الأحوال ...

ولكن تُرى ما السر الذى يدفع الإيمان إلى اتخاذ هذا الموقف . إنه فى الوعود الإلهية التى اتخذناها عنواناً لهذا الفصل فهى الضامنة لدخول كنعان — وفيما يلى بيان بهذه الوعود .

- **سرور الرب :**

إنه يدخلنا الأرض كاعلان عن سروره بنا فى ذلك ، وهذا يتم بوجودنا فى حالة الطاعة والتسليم . إن الأرض لا تحتاج إلى فحص بل إلى تقدير امتلاكها « حبال وقعت لى فى النعماء فالميراث حسن عندى » . فإن الأرض جيدة جداً جداً ، ولا شك أن الفشل فى دخولها أكبر مأساة ، وبالنسبة للشعب المسيحى فإن حرمانه يعتبر أمراً من أشد الأمور حزناً وإيلاماً — لأن كنعان (البركات العظمى ومواهب الروح) قد اشتراها لنا المسيح ونحن لا نأخذها استحقاقاً ، ومع ذلك فإن الأغلبيات

الساحقة من المسيحيين فشلت فى امتلاكها ، ومع أن الذين يتحدثون عن كنعان كثيرين ويشتاقون إلى بركاتها ، إلا أنه ما أقل الذين عندهم الاستعداد فى امتلاكها ، وهذا فى حد ذاته من أصعب المشكلات التى لا حل لها إلا فى وجود من يدخلون تحت رضا الرب برفض إعلاء شأن المذهبية فوق الحق الإلهى ... لقد كان المشهد القديم كئيباً مظلماً لأن أغلبية الشعب اتخذت قرار الرفض الذى حرمها من الرضا الإلهى وكان سخط الرب عليها (أى عدم سروره بها) سبباً فى صدور هذا الحكم عليها بالحرمان من دخول الأرض !!

• **توقعات الانتصار :**

لقد قام عشرة الجواسيس بإشاعة مذمة الأرض واستحالة دخولها وتجسيم صعوباتها بقولهم : « لا نقدر أن نصعد » ــ ولقد احتوى تقريرهم على ذكر صعوبات مذهلة فقد جاء ضمنه القول بأن هذه الأرض : « أرض تأكل سكانها » (٣٢:١٣) ويفهم من يشوع ١٢:٢٤ أنه كان فى هذه الأرض زنابير ، ولكن الله استخدمها لطرد سكانها منها تمهيداً لدخول شعبه ، ولكنهم لم يتوقعوا أنها إذ تنتهى من مهمتها هذه لا تتعداها إلى المساس بشعب الله فإنها مكلفة بأن تعمل لصالحهم وللتمهيد لدخولهم فقط . وكان من واجب الشعب أن يقدِّر ذلك مما يعزز لديه توقعات الانتصار لا العكس ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفاته الاستفادة منه باعتباره من ضمن الوعود الإلهية الضامنة للدخول !!

• **الجبابرة خبزنا :**

وهنا يصف كالب ويشوع شعب الأرض بالقول عنهم « بأنهم خبزنا » وما هوالخبز ؟ إنه ما تأكله ليعطى المزيد من القوة ويحفظ لنا الحيوية والنشاط ــ صحيح أن شعب الأرض جبابرة طوال القامة ، ولكن كالب أعلن أنهم خبز لشعب الله ــ وعلى كل مؤمن أن يحدد الموقف فإنه يهلك جوعاً إذا أعوزه الخبز أو رفض أن يتناول الخبز الموضوع أمامه وهو هنا « هؤلاء الجبابرة » ــ ألا ترى أن الرب يقدمهم لنا لكى نجد فيهم غذاء صحيحاً جديداً مليئاً بالمقويات يزيد نشاطنا ؟ . هذا ستجده إن نظرت إلى العناقيين الذين يعطلون تقدمك على أنهم خبزك ... ولاشك أن الذين لا يتغذون جيداً يتوقف نموهم ولا يتم نضجهم ..

وهنا نجد أن طعامنا ليس فقط فى كلمة الله ومشيئته ولكن فى هؤلاء العناقيين ،

فلا ترفض هذا الطعام الشهى الذى به قرر الله أن يجعل الجبابرة خبزك ، وهذا هو الذى حفظ كالب حتى الخامسة والثمانين ، فلم تظهر عليه تجاعيد السنين لأنه تغذى بعدد كبير من العناقيين !!

هذا هو سر الاحتفاظ بالشباب (الروحى) لأن العناقيين أكل دسم يُسمّن الجسم ويقويه ــ هذه هى التغذية الكاملة للدسم أن تمضغ وتهضم العمالقة والجبابرة ، وإلى النهاية طلب كالب من يشوع أن يبقى له هذا الامتياز بأن يعطيه نصيبه فى أرض العناقيين نفسها ... !!

• • •

وتضيف تلك الوعود عبارة « قد زال عنهم ظلهم » (أى دفاعهم) لأن إثمهم قد كَمُل الآن ــ لقد كان الملوك يعتبرون أنفسهم ظل الله على الأرض وكذلك كان سلطان تركيا وشاه إيران بما لهم من نفوذ يحمون به أتباعهم ، ومع ذلك فإن ظلهم لم يستطع أن يحميهم وانتهوا ، والله لم يكتف بذلك ، بل هو يرفض دائماً أن يكون ظله فى أحد من هؤلاء ــ أى الحكام والأسياد ــ وإنما ظله لشعبه ، ولذلك عندما وثق به كالب تماماً أعلن بأن شعب الأرض القادمين على امتلاكها قد زال عنهم ظلهم وانتهى بذلك أمام الإيمان وجودهم !!

أما من جهة الوعود الإلهية الخاصة بأثمار الأرض فإنه يعنينا منها بالأكثر عنقود العنب الواحد الذى قطفه الجواسيس من وادى أشكول وحملوه بالدقرانة ــ لقد جاء بهذا العنقود من أرض كنعان للشعب الذى كان لا يزال فى البرية لم يدخل كنعان بعد ، وهذا رمز لمجىء الروح القدس من السماء (كنعاننا السماوية) للكنيسة إذ فى العنقود إشارة ضمنية للخمر رمز للروح ، يدل على جودة الأرض وخصبها ، هكذا عندما يأخذ المؤمن بالروح خمره المسكر عربون الراحة والسعادة السماويتين !

الفصـــل الثامـــن
مكان الحسم وتقرير المصير

« لن يرى إنسان من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة ... ما عدا كالب بن يُفنّه ويشوع بن نون ... وأطفالكم ... فهم يدخلون إلى هناك ... وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا إلى البرية على طريق بحر سوف »
(تثنية ١ : ٣٥-٤٠)

• **إعادة إلى البرية :**

استطعنا أن نرى بما سبق بيانه كيف كان العصيان السبب المباشر فى تقرير مصير بنى إسرائيل لحياة تجوال فى البرية بلغت فى مداها أربعين عاماً تحت الحكم الإلهى إلى أن اختفى ذلك الجيل بالموت ، وهكذا إذا رفض الشعب دخول الأرض كان لابد من سقوطهم فى البرية !

لقد سمع الرب صوت تذمراتهم وغضب فأصدر حكمه العادل عليهم بالتجوال فى ذلك القفر المخيف الموحش إلى أن اختفى ذلك الجيل الشرير و لم يبق منه أحد ، وقد شاركه قائده العظيم موسى نفسه فى ذات المصير ...

أما هم عندما سمعوا أمر الرب : « تحولوا وارجعوا » فقد رفضوا اعتبار هذا الأمر وحزنوا منه لا لكونهم أخطأوا بل بسبب الحرمان الذى لحق بهم فلما أرادوا تغيير مصيرهم امتنع عليهم ذلك ...

ومع أن موسى تشفع فيهم لاستبقائهم لكن الله أعلن بأنه يتمجد فى الحكم عليهم لكونهم شعباً عاصياً متمرداً احتقر مواعيده . وموسى هنا يتمسك بأمانة الرب المعلنة

فى اسمه الذى على أساسه يحكم الشعب ــ وليس لمواعيده للآباء ــ والجواب الذى يحصل عليه يتمشى مع ذلك الاسم ...

لقد اجتاز موسى هنا فى ظرف عصيب لامتحانه إذ أنه لم يقدم التاريخ فرصة كهذه لشخص آخر لا قبل موسى ولا بعده ولا فتح باباً مثل هذا لإنسان بشرى وفى سفر العدد ١٤:١٢ نجد النص الإلهى يقول له : « أنى أضربهم بالوباً وأبيدهم وأصيّرك شعباً أكبر وأعظم منهم » ، ولو كان شخص آخر غير موسى أو لو كان موسى محباً لذاته لقال لنفسه : « هذه فرصتك الذهبية » لكى يغتنمها ، لكن موسى كان مملوءاً من روح المسيح فترفع عن الأغراض الذاتية إلى أسمى وأرفع مركز أدبى : فقد جعل موسى كل همه مجد الرب وعدم التهاون بذرة منه ، إذ كان مشغولاً به تماماً معلناً بأن قدرة الرب تتعظم فى طول روحه وصفحه فطلب لهم الغفران إذ كان مهتماً بهم رغم حالتهم ، على أن ذلك كله لم يمنع الله من أن يربط مجده بالتأديب العقابى بقوله : « ولكن حى أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب » رع (٢) . وقد أعلن الرب بذلك أن الأرض ستمتلىء من مجده بقطع كل الجماعة العاصية ، ولكن وجه الغرابة أنهم وقد خسروا الأرض حينئذ ، فإننا نجده تام الجمال فى الأصحاح التالى الخامس عشر أن نرى الرب يعود إلى راحته الكاملة المرتبطة بمشوراته السابق تعيينها من قبل ، والتى تدل على عدم تغيره وذلك بإعطائه تعليمات خاصة بامتلاك الشعب للأرض فى الوقت الذى فيه يدخلونها عندما يتم اعطاؤها لهم (أى للجيل الذى يخلفهم) ــ وهو فى هذه التعليمات يتحدث عن تقدمات البر وخمر الفرح التى سترافقها من مجرد النعمة فإن محبة الله تُعلن فى دائرة أبعد من حدود شعبه ــ وهى تقرب الغريب وتضع شريعة واحدة للاثنين !!

• • •

سبب الحرمان من كنعان :

هذا يأتى بنا إلى « اختبار البرية » ولماذا يظهر فيه تأديب العقاب الإلهى على الذين يختارونه لأنفسهم ، برفضهم التقدم لأخذ نصيبهم فى كنعان : ونحن نجد وصف هذا الاختبار فى الأصحاح الثالث من رسالة العبرانيين وهو يعاكس ما ورد فى الأصحاح الرابع الذى يليه ، وهو يشابه الأصحاح السابع من رسالة رومية الذى بدوره يعاكس الثامن منها : ومع الأسف فإن معظم المؤمنين يعيشون فى الأصحاح الثالث من

العبرانيين وقد يموتون فيه ، فخسارتهم إذاً لا تقدر ... وعلى العكس قلائل هم الذين ينتقلون إلى الأصحاح الرابع أى الدخول إلى كنعان « راحة الله » ــ ولكن لماذا أيها المؤمن العزيز لا تتعدى خط الاصحاح الثالث (مع ما فيه من مرارة) لتدخل راحة الأصحاح الرابع !؟ لماذا لا تترك البرية التى كثيراً ما جلتها وتكرر دورانك فيها وأصبح (أشبه بالحلقة المفرّغة !؟ ان استمرارك فى البرية وعدم تمتعك براحة كنعان ليس سببه أن الله يرغب لك ذلك أو عينه لك أو لعدم مقدرة فيك ، وإنما السبب فى ضعفاتك المحزنة المتسلطة على حياتك الداخلية !؟ .

ولا شك أن الحاجة واضحة هنا إلى الإنذار والتحذير ضد قساوة القلب وعدم المبالاة أو النسيان وهى عناصر التوقف .. هنا تنعدم قيمة اختبارات الماضى عندما لا يبقى لها أثر فى الوقت الحاضر .. لا شىء أدعى إلى الحزن من قلب تقسّى بسبب النعمة المهملة أو المحتقرة وذلك عند التفاخر بالماضى فى حين أن لا أثر لقوة الحياة التى كانت لنا أثناءه على الحاضر الذى نحن فيه لذلك كما يقول الروح القدس : « اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣:٧و٨)

والوحى يقدم فى هذا الصدد تحذيراً شديد اللهجة ضد هذه التقسية التى هى مقدمة الارتداد بقوله : « انظروا أيها الأخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى » (٣:١٢) ويبدو من ذلك أن عدم الإيمان هو أم الخطايا وأنه هو الذى يقسى القلب ويجعل الضمير متبلداً وأقل حساسية . وواضح من ذلك أنه دخل شىء بين المؤمن والرب أصبح ذلك الشىء سبباً للارتداد ــ لأن ذلك هو « غرور الخطية أو خداعها » إنها تفصل الإنسان بطريقة غير محسوسة ودون أن يتنبه للخطر المحدق باحلاله ما يشتهيه ويرغب فيه مكان المسيح !!

فإذا كان عدم إيمانهم قد حرمهم من دخول كنعان ، فكم يكون جرمنا نحن ، وكم يكون الخطر أعظم وأشد الذى يهددنا نحن إذا كنا غير أمناء للإعلان الإلهى المقدم لنا !؟ ونرى من جماع هذا كله كيف ارتبط الامتياز المجيد بالتاريخ المحزن الذى احتوى على تذمر وعصيان وانكار للجميل وعبادة أصنام ورجوع بالقلب إلى مصر ونسيان مذلتها وعبوديتها إلى الشكوك فى صلاح الله وقدرته ــ « وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا ... جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا ... » (١كو ١٠:٦و١١)

ويعود الوحى فى الثالث من العبرانيين فيؤكد كيف أن مظهر الخطية قبل أن يكتمل

الارتداد العلنى إنما هو فى الضلال السرى فى القلب بقوله : « لذلك مقت ذلك الجيل وقلت أنهم دائماً يضلون فى قلوبهم ، ولكنهم لم يعرفوا سبلى » (ع١٠) ، فإن عدم الإيمان الذى يؤدى إلى تقسية القلب هو أصل كل خطية ، أنه الانحراف عن الله الحى ، لأنه انكار للإيمان الذى هو حلقة الاتصال بالله ــ إن عدم الإيمان لا يستطيع أن يرى الله أو يفهمه ! أربعين سنة و لم يعرفوا سبل الله ــ لقد جربوه عشر مرات ولكنهم لم يفهموه ــ تأسف الرب وحزن على حالتهم هذه ونتج عن ذلك الحكم القائل : « حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » (ع١١) جميع الذين خرجوا من مصر (فيما عدا الأطفال والأمناء القلائل) اسخطوه فسقطت جثثهم فى القفر (ع١٦و١٧) ، منعهم عدم الإيمان من دخول الراحة لأنه ولّد فيهم عدم الطاعة وهذا انذار لكل الأجيال : فى ضوئه وجدنا كثيرين فى كورنثوس ضعفاء ومرضى يرقدون (١كو ١١:٣٠) لم يكونوا قليلين ! ولا شك أن التهديدات القديمة لا تقارن برفض النعمة وقبولها الباطل !

• • •

• **تكرار التطبيق :**

ومن المعلوم أن الكلام الوارد فى المزمور ٩٥ والمقتبس هنا فى عبرانيين ٣ قيل فى نهاية السبى لما أوشك الرب أن يرد سبيهم من بابل ويباركهم ــ أما انطباقه فى رسالة العبرانيين فقد كان على اليهود الذين بعد أن قبلوا يسوع كالمسيا ارتدوا عنه إلى اليهودية ــ وقد مضى الآن عليهم أربعون سنة هى المعبر عنها « باليوم »

لقد احتملهم الرب كما احتمل آباءهم من قبل ــ ومن المؤكد أن الله الحى لم يتغير قط : ذاك الذى أقسم فى غضبه بأن لا يدخلوا راحته فى كنعان ، وكذلك راحة العهد الجديد باختيار الإنجيل الكامل ، لازال يغضب بعد أن يتأنى ويحتمل : لقد كان يتعامل معهم فى البرية كأفراد وهكذا هنا أثناء فترة ارتدادهم فى بدء المسيحية وكذلك الحال فى وقت النهاية الذى بلغناه فى ختام المسيحية ، وهذا واضح من القول : « انظروا أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان ... » لأن الخطيئة تضعف الشعور بجرمها فتجعل القلب ليس قاسياً فقط بل وشريراً ، ومن ثم فإن الذين خرجوا من مصر لم يغضبوا الله فى جملتهم ، أى مجموعهم معاً ، بل واحداً واحداً إلى أن سقطوا جميعاً فى البرية بعد أن خارت قواهم بسبب الانهاك فى السير

المتواصل بدون جدوى أو هدف ... وهكذا جاءت كلمة « اليوم » لتشير إلى مدة معينة يقدمها بين العصور لامتحان شعبه المقدّم لهم هذه المدة ، ولكن كما حدث بعد الخروج من مصر قديماً ، وبعد الخروج من اليهودية عند ظهور المسيحية والآن فى فترة الارتداد المنبأ عنها قبل المجيء الثانى تتباطأ المسامع ويحدث التقهقر خطوة خطوة إلى أن يتم الوصول إلى التقسية النهائية خلال مدة الأربعين سنة المعبر عنها « باليوم » وهذا ما يجب أن ننتبه له !! ومع أن اليوم البنوى يشير إلى سنة زمنية لكننا نراه هنا يساوى أربعين سنة ــ فترة انتقال واسعة تمثل يوماً طويلاً أعطاه الله لهم ومع ذلك لم يستفيدوا منه ــ ونفهم من ذلك أن رقم ٤٠ يعنى الامتحان أو الاختبار .

وقد أعطاهم الله هذه المدة مرة ثانية بعد تلك التى كانت فى قادش برنيع ، وذلك بأن قررها فيما بين حادثة الصلب وحادثة هدم الهيكل على يد الرومان سنة ٧٠ م ، انتهى يومهم ــ أى الأربعين سنة المقدمة ــ حينئذ ، بعد أن تقسوا وتوقفوا عن قبول الإيمان بالمسيح بل هجروه وتخلوا عنه وكان سر الكنيسة قد بدأ فى الظهور دون أن ينهى ذلك تاريخ تعامل الله مع اليهود ، فهو لم يغلق الباب فى وجوههم لكنهم هم الذين كانوا يزدادون اصراراً وقسوة وعناداً ــ وكان داود قد أنبأ عن هذه الأربعين سنة فعين يوماً آخر فى سفر المزامير وردت به هذه العبارة : « اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » وجاء الروح القدس فى هذه الفترة الثانية ليكلم جيلها إلى أن تم خراب أورشليم والهيكل بعد أن ظهر بأنهم لم يستفيدوا شيئاً من تنبيه الروح القدس لهم . لقد اتخذوا موقفاً محدداً وهو التمسك بالنظام القديم بعد أن كان قد انتهى فى صليب المسيح وساعدهم على ذلك ما وقع عليهم من اضطهاد ، وكان موقفهم هذا يعاكس موقف المكابيين المشرف الذى دافعوا فيه عن « الهيكل الثانى » الذى بناه زربابل بعد السبى وجدده هيرودس فيما بعد ... وهذا الذى رأيناه فى بدء المسيحية من ارتداد اليهود الذين دخلوها عنها ، عدنا نراه حالياً فى الارتداد عنها بعد أن تثقلت المسيحية بمساوىء التقليد والأنظمة البشرية المقيدة التى دفعت بأكثريتها الهائلة للعودة إلى البرية بموجب نفس الحكم الإلهى القديم والذى يعتبر سارى المفعول عندما تدعو الحالة إليه حسبما نراه بالنسبة للجيل الحالى .

● **الاستثناء المبارك :**

هنا فى قادش برنيع حيث رجعت الجموع فى يأس ودفنت فى البرية ولم تر أرض

الموعد ، لأنها لم تهتم بخطة الله ولم تكترث لجدولها الزمنى ، الأمر الذى قد يعرض غير المنتبهين إلى نفس هذا الوضع المتشابه رغم نور الاعلان المتزايد ، ولكننا مع ذلك نرى اعلان سلطان الله يتجمع فى نقطة مركزية ــ فى بقية أمينة لن تتخلى عن أمانة التمسك والمتابعة رغم ما تعانيه من وجودها ضمن الأكثرية غير الأمينة ــ وذلك لأن عناية الله تشاء أن تكشف عن الأمناء القلائل وتقف بجوارهم وتجعلهم نقطة التحول فى التاريخ ، ورغم أنهم أقلية تمثل الاستثناء المبارك إلا أن فيها يشع النور ويمتد السلطان الإلهى إلى كل مكان ...

وقد وجدنا هنا كيف أن كالب يرمز مسبقاً للبقية الأمنية أى الفئة المكرسة التى تحتفظ بمبدأ التمسك الكامل بالرب (ويشوع لا يذكر هنا مع أنه كان معه لأنه يمثل المسيح وهو يُدخل الشعب إلى أرض الموعد) ...

وعند نهاية الأربعين سنة كان على كالب أن يُخضع نفس الأشخاص (مذكورين بأسمائهم) الذين ملأوا الجواسيس بالرعب ــ وهو بذلك قد استطاع أن يتمتع بنتائج الوعد بالرغم من عدم الإيمان ، فإنه وبدون أن يهرب من الصعوبات قد دان غباوة عدم الإيمان ورأى نتائجه ، فى أنه لا فائدة حينئذ من ورائه للتعهد بعمل ما ــ لأنه بدون الإيمان لا يمكن أن يكون الله معنا ومن يصر على الصعود فى مثل هذه الحالة فإنه سيجد العدو الذى صوره له عدم الإيمان فى انتظاره ويغلبه على أمره !

• • •

محتويات اختبار البرية :

وجدير بالذكر هنا تبياناً لقيمة هذا الاستثناء المبارك ولأجل الحض عليه أن نكشف معنى الرجوع إلى البرية بعد الوصول إلى « قادش برنيع » فإن معنى ذلك ونتائجه يمكن تلخيصها فيما يلى :-

١ ــ آمال محطمة :

جولان بلا هدف إذ لا توجد فى البرية إقامة يمكن حط الرحال فيها طويلاً ، فإن أوقات الواحات ضئيلة ، وبعدها تستأنف الرحلة الشاقة وتنتهى الأوقات السعيدة ــ ومن هنا يأتى الفشل متتابعاً اشتياقات بلا تحقيق وأتعاب بلا راحة إذ لا استقرار لأنه ليست هناك مدنية للسكن هكذا يقول الوحى : « تاهوا فى البرية فى قفر بلا طريق . لم يجدوا مدينة سكن جياع عطاش أيضاً . أعيت أنفسهم فيهم (مز ١٠٧:٤و٥)

٢ ــ عدم الرضا :

فقد وجدوا أن طريق البرية صعب فاشتكوا وتذمروا ورغبوا فى العودة إلى مصر حيث قدور اللحم ، وفقدوا الشهية نحو المن السماوى ، وهنا كان اختبارهم متقلب بين العلو والانخفاض ، بين اليقين والشك .. بين الاقتراب من كنعان والبعد عنها ...

٣ ــ تقلبات الطبيعة :

فهنا زوابع رملية ساخنة ومملوءة تراباً ورمالاً يدخل فى العينين والفم والرئتين ويخترق الثياب ويضايق الجلد ــ حالة لا تطاق .

٤ ــ السراب :

وهو الانعكاس الذى يحسبه الظمآن ماء فيسعى وراءه دون أن يدركه يمثل حالة الخداع وعدم الوصول إلى هدف أو عزاء مهما شد انتباهه هذا هو أقسى فشل والسماء تندهش حقاً للبقاء فى حالة كهذه .

٥ ــ عدم الثمر :

لقد حارب إسرائيل فى البرية ليحصلوا على حق المرور اليومى . كم كان الأمر مختلفاً معهم فيما لو دخلوا كنعان إذ كان ينتظرهم امتلاكها ... نعم لم يكن إسرائيل فى البرية مشابهاً للمصريين فى أعمالهم ولكن اختبارهم كان سلبياً وفقيراً ، فلم يكونوا يعملون شيئاً يستحق الذكر ــ ما أكثر المؤمنين الذين لا يعملون أعمال أهل العالم ولكن لما تسأل عن الجانب الإيجابى من عملهم تجدهم لا يعملون شيئاً ...

أما كنعان فإنها تقدم لنا أيام السماء على الأرض عملياً ونستدل على ذلك بما يأتى :ــ

١ ــ البحث فى كلمة الله :

حيث نجد فيها أن الله قد أعد لنا أشياء أفضل من التجول فى برية الخيبة والفشل ، وإنه من الممكن أن تنال ما تحقق من نواله وبدأت النفوس من تمتع حاضر بالنصرة على كل خطية والتحقق من مواعيد الكتاب ونوال الراحة والتخلص من الشك والقلق .

٢ ــ النظر إلى قوة المسيح :

فهى التى تمنحنا هذا الاختبار المبارك الذى لا يمكن نواله بمجهودات ذاتية لأن

الناموس يريك احتياجك فقط ويضع أمامك نموذجاً لم تصل إليه بعد كما أنك بمجهودك الخاص لن يمكنك الوصول إليه . ثق بيسوع كمؤمن متعب من فشلك وشكوكك وهمومك ومخاوفك وضعفاتك ، انظر إليه بالإيمان ليعطيك السلام بعد أن منحك الغفران ... عندما تعلمت باختبار مرير أن الناموس لا يُكمّل شيئاً ...

٣ ــ ثقة الإيمان :

لما تتمم ذلك قل حينئذ بالإيمان أنني الآن في كنعان ــ هنا نقطة الفشل لدى الكثيرين ممن يرون في الكلمة الوعد باختبار أفضل ، وفي يسوع القدرة على وهب ما يرغبون نواله ولكنهم إنما ينالون ميراثهم هذا في كنعان بدون انتظار عندما يتخذون خطوة الإيمان هذه فبالتأكيد يكون لك هذا الاختبار متى خطوت خطوة الإيمان هذه !

• تقرير المصير :

جاء في صدارة هذا الفصل الختامي في القول : « وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا إلى البرية على طريق بحر سوف » وهذا يتفق مع اعلانات العهد الجديد المشابهة مثل القول : « يعوزك شيء واحد » و« لست بعيداً عن ملكوت الله ، وأيضاً » بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً » .

ولكن الآية الأولى الواردة في فاتحة سفر التثنية مدهشة أكثر ومناسبة لتقديم هذه الرسالة خاتمة هذه التأملات . لأننا نرى هنا الشيء الوحيد الذي منع الإسرائيليين من دخول كنعان ، وهو نفس الشيء الذي يمنع أي نفس من دخول الملكوت حتى الآن !!

هناك أشخاص في العهد الجديد وصلوا إلى « قادش برنيع » وأنت تستغرب لأسمائهم ــ فمنهم « هيرودس » فقد وصل إلى هذا المكان أثناء بشارة يوحنا المعمدان (مر ٦:٢٠) وحاول أن يترك بعض الخطايا وأن يساوم دون أن يسلم بلا شروط ، لم يكن المعطل لديه عقلياً وإنما كان خطية في القلب جعلته قاتلاً :

إن قادش برنيع مكان خطر للوقوف عنده : إنه المكان الذي توقف فيه « بيلاطس » المتردد عندما خانته الشجاعة الأدبية وظن أنه يستطيع أن يترك يسوع يُصلب دون أن يتحمل مسئولية ذلك وكان يعتبر عمله هذا بطولة نادرة ولكن

هيهات ! وكذلك كان « يهوذا الاسخريوطى » فى قادش برنيع ولكنه لم يعبر الحد الفاصل ــ سمع ورأى يسوع ولكنه لم يخلص وأضاع فرصته إلى الأبد ... وكذلك ارتعب « فيلكس » المؤجل فى قادش برنيع أثناء وقوف بولس أمامه للمحاكمة ، وكذلك « أغريباس » الذى أعلن بأنه مسيحى تقريباً ولكنه هلك ... ولا شك أن هذه الأمثلة ونظائرها تؤكد بأن أعظم مأساة هى مأساة السفن التى تغرق وهى قريبة جداً من الشاطىء .. فهيا إلى حسم الموقف لتقريرالمصير !

الفصل التاسع
نهاية الدوران وفرز الأمناء

« لن يرى الأرض جميع الذين أهانونى . وأما عبدى كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى وقد اتبعنى تماماً أدخله »
(عدد ١٤ : ٢٤)

« ودرنا بجبل سعير أياماً كثيرة ثم كلمنى الرب قائلاً كفاكم دوران بهذا الجبل تحولوا نحو الشمال
(تث ١ : ٣٥ ، ٢ : ١-٣)

• **الجدول الزمنى :**

توصف الرحلة هنا فى فاتحة سفر التثنية بأنها كانت تستغرق أحد عشر يوماً ــ لأن الرحلات فى ذلك الوقت كانت تقاس بما تقطعه من ساعات أو أيام ، بمعدل عشرين ميلاً فى اليوم على القدم ــ فكان بالإمكان أن تأخذ هذه الرحلة الأيام الأحد عشر المذكورة بالسير المناسب للشعب ، لأن المسافة من حوريب إلى قادش حوالى ١٠٠ ميل ــ وليس المقصود بعدد الأيام هنا تتابعها بل كميتها فقط لأن الرحلة يمكن أن تتم فى مدة أقصر ، وإنما كان ذكر عدد الأيام المقررة كجدول زمنى للرحلة لبيان أن العدد الكبير الذى صرفوه فى الارتحال من حوريب إلى قادش لم يكن طول الطريق ، بل كان له سبب آخر مختلف وهو نفيهم بسبب ارتدادهم وعصيانهم المتكرر ، الأمر الذى بسببه حولوا الأحد عشر يوماً إلى أربعين سنة قضوها فى حلقات مفرغة من التجوال والسير كان ذلك لأن دخول كنعان مشروطاً بطاعة الله وحفظ وصاياه ، وكم قدّم لهم موسى من تحذيرات ضد العصيان ! ولكن عدم الإيمان ظهر

فيهم ــ أثناء هذه الرحلة التى طال مداها ــ فى شكل عصيان إرادى على أمر الرب ، كما ظهر عدم الرضا فى شكل تذمر مرير ، وعدم الثقة فى الرب فى شكل عدم انتظار نصرة منه بسبب تغلب الرهبة والخوف عليهم ... وكانت هذه كلها تجاهلاً لمحبة الرب وصبره وصلاحه نحوهم وأصبحت السبب المباشر للحرمان من دخول الأرض ــ وهذه هى الصورة التى نراها قد تجسمت فى وقتنا الحاضر وألقت ظلالها السوداء فى ربوع المسيحية فانتجت حرمان المسيحيين حالياً من دخول كنعانهم وقد طال بهم زمن التغرب كما حدث تماماً مع الشعب القديم هنا ...

• **نهاية الدوران :**

لقد رأينا كيف تغير الجدول الزمنى بالنسبة لذلك الشعب بسبب خروجه عن طاعة الرب ، مما جعل الله يعود بهم إلى الخلف ويتركهم لحالة الدوران فى نفس البقاع التى هم فيها دون إحراز أى تقدم إلى الأمام لتغيير هذه الحالة وإنما نجد فى القول : « ثم تحولنا وارتحلنا إلى البرية على طريق بحر سوف » (تث ٢:١) معنى عميقاً ، فموسى يشترك هو ويشوع وكالب مع الجماعة غير المؤمنة فى هذا التحول والارتحال ، يقبل ويخضع ثلاثتهم لهذا الحكم حتى وان كانوا لا يفهمون لماذا وهم يفعلون ذلك خضوعاً للرب فقط وسيراً وراؤه :

لقد رأينا كيف لم يتمكن هذا الشعب من احتمال الشهادة الأمينة بل أنهم أكثر من ذلك لم يحتووا غضبهم نحو حامليها ويحتفظوا بضبط النفس ، لأنهم وجدوا فى هذه الشهادة إدانة لعدم إيمانهم الذى أوصلهم إلى اغفال الله وقدرته بالمقابلة مع بنى عناق ــ وجعلهم يستبعدون إمكانية سقوط الأسوار العالية عند الضرب ببوق كيش ما !؟

ولذلك فقد تداخل الله نفسه إذ لابد من معاملة ذلك الشعب حسب ايمانهم ، وامتنع الرب عن أن يغفر له وذلك بالقول : « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ ... ... قل لهم حى أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنىّ . فى هذا القفر تسقط جثثكم » (سفر العدد ١٤:٢٧ــ٢٩) ــ أنهم يهلكون فى البرية حسب رغبتهم بعد فترة طويلة من الدوران ، الأمناء منهم فقط والأطفال هم الذين سيدخلون الأرض ــ لأن دخولها يتطلب بساطة الأطفال ولكن دخولهم هذا ليس بدون أن يقعوا فى سيرهم تحت نتائج عدم إيمان جمهور الشعب غير المؤمن ــ وإنما على أى حال ستكون آمالهم وتعزياتهم هى نصيبهم أثناء ذلك !!

لقد كان الانتظار والطاعة هنا واجبين ، وإلا فإننا نتعرض لسيل من الأسئلة والمناقشات وأنشطة العصيان : فحين قال الله لهم « كفاكم دوران » لم ينتظر منهم أن يقولوا إننا نريد أن نستمر فى الدوران أكثر قليلاً ، أو أننا هنا مستريحون ولا نرغب فى أى تغيير ــ وكذلك حين قال لهم « تحولوا نحو الشمال » لم يكن بوسعهم أن يقولوا : لا . بل إننا نفضل الاتجاه نحو الشرق مثلاً ــ « لأنه ماذا كانت تكون النتيجة !؟ » ــ الحرمان من الحضرة الإلهية معهم » وبالتالى فلا هداية ولا تحرك ، لأنهم رغم أنهم قد أوقعوا أنفسهم تحت التأديب ، إلا أنهم كانوا لا يزالون تحت الضبط الإلهى الذى لا مفر منه ، وكان عليهم أن ينتظروا قيادة الرب لهم وأن يعملوا ما يقوله لهم ... ! فإن هذه الحضرة هى معهم ــ رغم الحالة التى اختاروها لأنفسهم تكشف عن الطريق الذى يشير إليه الأمر الإلهى وتحدده ... وتعطى هنا الأولوية لكلمة الله الواجبة القبول واطاعة فهنا يجب أن نتأكد من الأمر الإلهى فلا نتحرك بدون التيقن منه ، فإن نبع الصخرة المضروبة والمن السماوى لن يوجدا إلا فى طريق الطاعة والالتزام بتنفيذ أمر الرب وهو يريد منا دائماً أن نصل إلى حالة إنهاء الدوران !!

• • •

وهكذا كان يعرف إسرائيل مدى مدة توقفاتهم وكذلك خط سيرهم ــ بكلمة الله ــ أنحن أردأ ؟ حاشا . بل إننا أفضل مما كانوا عليه ــ فإن لنا الكلمة والروح لقيادتنا وقد تخصص لنا هذا الامتياز السامى للسير فى آثار ابن الله الذى قيل عنه : « تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته » (١ بط ٢:٢١) ــ هذه هى القيادة الحية التى لنا فيه حالياً وستستمر معنا حين نبلغ ربوع المجد الأبدى فيما بعد .

إن علينا نحن المسيحيين أن نتعلمْ هذا الدرس ــ وكم هو درس صحى وثمين والحاجة إليه شديدة وقصوى ــ فإن من أحلى امتيازاتنا أن نجد طريقنا وقد تحدد وتميز لنا يوماً بعد الآخر بالسلطان الإلهى ــ ومن جهة ذلك يجب أن نكون مقتنعين تماماً فلا يجب أن ندع هذه البركة تضيع منا بحجج عدم الإيمان التى تحاول أن تقنعنا ، كما أن من جهة أخرى حرى بنا أن نبقى فى أماكننا ، لا يجب أن نتحرك فى عدم يقين إذا لم يكن لدينا نور كاف للتحرك !!

لقد وعد الله أن يقودنا حتى حينما نقع تحت حكم تأديبه بالتحول والإرجاع إلى الوراء ، وعلينا أن نخضع لأن قيادة الرب لنا حقيقة ثابتة وصادقة وشاملة وقد

جعلها الله واضحة بمقدار ما نتوافق معها ونقبلها ـــ ومن ثم فإننا لم نستطيع أن نقر ولو للحظة : أن إسرائيل فى البرية كان له حال فى مسألة القيادة ، أفضل من حالنا باعتبارنا شعبه السماوى أثناء مرورنا واجتيازنا فى هذا العالم ...

• **فرز الأمناء :**

كان لابد من الوصول إلى نهاية الدوران فإن تمييع الموقف والبقاء فى حالة الدوران مسألة لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية ـــ الله نفسه لن يحتملها ولذلك فإنه هو الذى يقول لشعبه وهم فى حالة التمرد « كفاكم دوران » ولكنه يفعل ذلك لسبب آخر هو « فرز الأمناء » ، ومن ثم فإن « قادش برنيع » قد أصبحت مكاناً خطيراً للفرز فيه قد أُعلن الرب تأديب العصاة والعودة بهم إلى الخلف حتى يتقدم بالأمناء والأطفال ـــ لأن دخول كنعان يستلزم الأمانة والبساطة ومن ثم فلا يحصل عليه سوى الأمناء والبسطاء ، هم يدخلون ويمتلكون الأرض !!

لقد كانت « قادش برنيع » نقطة تحول فى تاريخ بنى اسرائيل . إذ كان أمامهم هنا الراحة بعد سنين عديدة كانوا فيها غرباء عنها ولكنهم لم يدخلوا هذه الراحة ـــ كان أمامهم الأثمار الشهية بدلاً من توابل مصر المهيجة ، ولكنهم رأوا تلك الأثمار ولم يدخلوا فحرموا أنفسهم منها ـــ كانوا يعرفون الفرق بين حالة مصر وحالة كنعان إذ كان أمامهم فى كنعان مذبح وشركة مع الله بخلاف ما كانوا عليه فى مصر ، كانوا فى كنعان سيتمتعون بالله وجهاً لوجه ، ولكن ها هم يتحولون إلى البرية التى كانت خلفهم ... كان معنى رجوعهم هذا الخيبة والتذمر والاستسلام لشهوة الجسد والشكوى والبكاء ، ومعنى هذا كله بحسب لغة العهد الجديد الجسدانية والطفولة الروحية مما ينتج عنه القلق وعدم الإرتياح ..

لقد أشار موسى إلى ذلك عند مراجعته لرحلتهم ذاكراً معاملات الله معهم على أساس سلطان كلمته ـــ أراهم أن جميع مكتملى السن منهم قد هلكوا بسبب عدم إيمانهم . لأن الله إله غيور » .

هنا تذمر الشعب وبكى وأظهر اليأس وأعلن العصيان ، لقد نظروا إلى الظروف والمعطلات ففشلوا وكانت النتيجة أنه لسبب عدم إيمانهم وعدم طاعتهم بل وعدم إرادتهم فى أن يثقوا بالله أنهم منعوا من دخول كنعان رغم قربهم الشديد منها ، فعاد بهم الله إلى البرية ...

وهناك دفنهم فيها ولم ير أحد من ذلك الجيل الشرير فوق سن العشرين أرض الميعاد ماعدا سبط لاوى ويشوع وكالب فقط ... لقد تحقق الشعب من الخسارة التى لحقت به بعدم انتهازه فرصة الدخول ، وحاولوا إصلاح خطأهم ولكن بدون تذلل وطاعة حقيقية ، ورغم أنهم بكوا وحاولوا أن يتقدموا بدون أن يكون الرب معهم ولكن هيهات فقد انتهت فرصتهم واستحال عليهم إرجاعها أو تعويضها !!

• ••

ولكن نفس هذا الموقف آنف الذكر كشف عن الأقلية الأمنية التى فرزت نفسها للرب وعلى رأسها « كالب » الذى يمثل « الأمناء » فى كل جيل : فقد قبل على نفسه أمر قرض العناقيين ورأى أن ذلك ضرورة محتومة إذ كانوا سبب رعب شديد حتى للجواسيس مما أسخط الرب على الجماعة كلها .. لقد كان « بنى عناق » هؤلاء جبابرة بأس ، وقد أبقاهم الله إلى نهاية الشوط بعد أن يكون قد أتم تدريب الشعب على النصرات المختلفة حتى يصلوا إلى النقطة التى فيها يعرفون أن الجبابرة أقزام بل لا شىء أمام قدرة الله المحارب معهم !

وهنا يتكلم « كالب » بمجد الله مبيناً قدرته بالهه على طرد بنى عناق كتبرير لطلبه ما كان يبدو مستحيلاً بالنسبة لغيره ! هذه هى روح البطولية الشريفة : اختيار أصعب الجبهات لفتحها ، هذا هو الإيمان الرجولى الذى تميز به كالب ، فلم يخش بنى عناق العمالقة محتلى أرض الموعد ، ولذلك طلب بأن تكون أرضهم نصيبه ، وهذا هو سر طرده لهم ! لم يداخله الخوف لأنهم عمالقة ولا لأن مدنهم حصينة جداً ــ ولذلك فقد تغلب عليهم بدون أدنى مجهود ــ « لأنه بالثقة فى الله لا يكون للخوف أساس بل تكون النصرة مؤكدة !

• • •

إن الإيمان فى الواقع لا يغنينا عن الجهاد ولا يحملنا إلى احتقار قوة أعدائنا كأن غلبتنا عليهم متوقفة على قوتنا وحكمتنا ــ أنه « المؤلد » الذى يغذى الطموح بشرارة الشجاعة والتحدى ، ومع إدراكه الصعوبات فإنه يعطى التأكيد بالتغلب عليها ــ وهذا هو الطريق المؤدى إلى النصر !!

لقد أعلن الجواسيس بأن فى كنعان جبابرة وإنهم كانوا كالجراد فى أعينهم ، وهذا التعبير ينطبق طبعا على الأعداء الروحيين الذين يقابلوننا فى كنعان (أفسس١ ص٦)

ولذلك يتحتم أن الذين يسكنون كنعان يكونون من جبابرة القوة الروحية ــ هنا سكن « جورج مولر » (الفقير الغنى) الذى تعلم باتمام مشيئة الرب له فلم يقل له الله «لا» لأى طلبة قدمها له ، وذلك لأنه لم يطلب إلا ما كان يوافق مشيئة الله ... هنا سكن « مودى » (المبشر الخالد المحبوب) الذى لم يكن سر قوته فى عظاته ولا فى طريقة القائها بل فى حياته نفسها والجو الروحى العميق الذى كان يعيش فيه ... هنا عاش « هدسن تيلور » (مؤسس ارسالية الصين الداخلية) الذى لم يتخل الله عن عمله فى الصين قط بل مده بالمال والرجال اللازمين لهذا العمل إذ كان يستيقظ يومياً بين الثانية والثالثة بعد منتصف الليل ويغلق على نفسه ويصرف وقتا طويلاً فى شركة مع الله ، وأحياناً كان يجلس ساعة كاملة دون أن ينطق بكلمة ، وأحياناً ينظر إلى فوق متطلعاً إلى وجه الله وهو يكرر الاسم الحلو « يسوع » عدة مرات ... هنا أخذ « فلتشر » مكانه (صاحب الوجه الملائكى) الذى قبل بأنه لم يظهر منذ أيام الرسل قديس نظيره ، رغم مصارعته لجبابرة كنعان الروحيين ولكنه مثل كالب غلبهم وانتصر عليهم ... هنا أخذ « جون وسلى » مكانه فغير وجه التاريخ فى الغرب وعزز المذهب الأرمينى جاعلاً منه الطريقة المثلى كما هو واضح من النظام الذى أسسه معارضاً به الكلفينية وهو المعروف حتى اليوم « بالميثودستية » ... ويعوزنا الوقت لو تحدثنا عن آباء الكنيسة ورجالها العظام فى العصور الأولى وأمناء العصور الوسطى المظلمة شهود الحق وشهدائه وسائر رجال عصر النهضات وأمناء جيلنا الحاضر ممن يتمسكون بالشهادة للحق مهما كلفهم ذلك ــ فهل حصلت على اختيار كنعان مثلهم ــ وهل أنت من الأمناء الذين تم فرزهم فى قادش وترشحوا لدخول كنعان !؟

نعم لقد تمرد الشعب قديماً على قواده الأمناء بل شرعوا فى رجم كالب ويشوع لمناداتهما بالتقدم لاحتلال الأرض ، وأنه ليحزننا ويؤسفنا حقاً أن يتحول الشعب إلى هذه الحالة من الارتياب إلى العصيان ... ولكنه وهو يتجه نحو الفتك بهذين الشاهدين الأمينين ارتاع أمام ظهور مجد الرب لانقاذ سفيريه وحمايتهما !! وإننا فى الواقع لا نملك إلا أن نقف من إيمان كالب ويشوع وشجاعتهما موقف التقدير والإعجاب بل وفى تمزيقهما لثيابهما لا نملك إلا أن نقف موقف التألم والتأثر بجوارهما .... لقد كانا بعملهما هذا يمثلان القلة الأمينة التى تقف فى كل جيل فى وجه الأغلبية ــ الطاغية المنحرفة ــ بشجاعة وثبات وإيمان ونبل ، ولئن كان قد

تعرضا للرجم فإن كثيرين من أمثالهما قد آثروا الموت المفزع على خيانة الله والسير فى ركب الخائفين الوجلين المرتابين والعصاة ــ ألم يُرجم اسطفانوس ويقتل بولس ويصلب بطرس ؟ ألم تحرق جان دارك ويصرع لنكلن وغيرهما ؟ ألم يصلب ابن الله نفسه !؟ وكان سبب ذلك أن جميع هؤلاء قد ساروا فى طريق لا تتفق مع طريق الجماهير الحمقاء !!

أما ذلك الشعب فقد غضب الله عليه بسبب موقفه هذا ورام أن يقضى عليه فى لحظة نهائياً لولا تشفع موسى فيهم الذى جعل الله يُبدل عقوبة الفناء الفورى بعقوبة ابقاء المتذمرين ٤٠ سنة فى البرية إلى أن يتم فناؤهم فيها ويدخل أبناؤهم الصغار كنعان بعد أن يشبوا ويعرفوا معنى الإيمان وعاقبة العصيان والتمرد !!

الفصل العاشر
دروس قادش برنيع

« فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً »
وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا
أواخر الدهور »
(١كورنثوس ١٠ : ١١)

● **الدرس الأول : أن قادش برنيع محل الامتحان :**

لقد كشفت قادش برنيع عن وجود الإيمان وعدم الإيمان فى شعب الله وهنا نجد خط فاصل داخلى يفصل فيما بينهم فى الداخل وهو غير خط الفاصل الخارجى الذى يميزهم عن سواهم ــ ففى نطاق المؤمنين أنفسهم قد وجدنا هذه الحالة ويتردد صداها فيما قاله السيد لتلميذه توما : لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » (يو٢٠:٢٧) ــ ففى قادش هذه ظهر الكشف بين حالتى الإيمان والعيان ، وواضح أن المؤمنين ملتزمون بالإيمان فقط لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان ــ (٢كو ٥:٧) ، وواضح مما حدث مع الشعب القديم أنه لم يثبت فى الإيمان فتجمست أمامه الصعوبات ، وحول العيان إيمانهم إلى عدم إيمان ، الأمر الذى أدّى بهم إلى العجز وعدم القدرة ، وهو ما يعانى منه الكثيرون من مؤمنى جيلنا الحاضر ... ولا يزال خلفاء من سلكوا بالعيان من قبل تنتابهم الحسرة ويحل بهم الارتباك إذ أنهم لا يستطيعون أن يروا زمام الأمور فى يد الرب ولاهم يقدرونه حق قدره فيتوقفون عن التقدم ، ويقضون أيامهم فى حلقات مفرغة لا جديد فيها ولا جدوى !

● **الدرس الثانى : إن قادش برنيع تكشف عن نوع الروح المسيطر** : فقد كان مع كالب روحاً أخرى غير الروح التى سيطرت على الشعب بأسره تقريباً ، إذ كانت

هذه روح غريبة حطت بحالتهم المعنوية وجعلتهم يخسرون جولتهم ويفقدون بذلك أعظم الامتيازات التى كانت مقدمة لهم من الله ، أما كالب فقد كان معه روحاً أخرى هو روح الله ــ وهو الذى أثار همته وألهمه الشجاعة والإقدام ومنحه ثقة الانتصار على طول الخط فى مواجهة أصعب المواقف ، وقد أصبح بذلك رمزاً ونواة للفئة الأمينة التى قدرت الموقف وأعدت نفسها للاستفادة من الفرصة فرصة عرض كنعان وامتلاكها بحسب وعد الله وقصده ، بينما ارتدت أغلبيات ساحقة عن ذلك وضاعت فى متاهات البرية العصيبة !! كانت هذه الروح التى سيطرت على الشعب روحاً رديئة جلبت عليهم هذه المصيبة فسقطوا فى القفر تحت غضب الله ، وحرى بنا نحن أيضاً أن نخشى على أنفسنا من أن نتشبه بهم فى ذلك إذ علينا أن نتمثل بكالب وموقفه المبارك .

وقد وجدنا هنا كيف طالت رحلة الشعب إلى ما يقرب من أربعين سنة ، وكم من نفوس تحتاج إلى تكرار نفس الدرس ، ولكنها لم تجد السلام بعد ولا حصلت على بركة الحرية ، فلنترك جانباً مناقشات عدم الإيمان لأنها لا تجدى نفعاً !!

● **الدرس الثالث : فى قادش برنيع لابد من اصدار القرار** : إما قرار القبول أو قرار الرفض ، وحرية الاختيار مكفولة هنا تماماً لكل نفس ومن المعلوم أن الله قابل قرار رفض الشعب بالحرمان بينما حكم للأقلية الأمينة بتحقيق وعده الذى قطعه على نفسه بادّخارها كنعان لما توفر فيها من الأمانة والبساطة ــ ونحن مدعوون أن نكون ضمن هذه البقية الأمينة ، فبينما تمسك الشعب باستحالة امتلاك الأرض إلا أن اثنين فقط كالب ويشوع اتخذا موقفاً مختلفاً أعلنا به أن هذا الامتلاك ممكن جداً ...

كان موقف عدم الإيمان هو الذى منع الشعب من دخول كنعان ومن الغريب حقاً أنه لم يثبت فى وجه عدم الايمان إلا شخصان فقط (كالب ويشوع) وكان جواب الله صدور قرار الحرمان على الجماعة كلها وإرجاعها إلى الوراء ــ لقد رفع الشعب صوته وصرخ وبكى ليلة كاملة (العدد ١٤ : ١) وكان معنى ذلك التعبير عن الحسرة عند الشعور بالعجز عن دخول كنعان ــ

ولقد كان ذلك نتيجة طبيعية لقبولهم تقرير الجواسيس العشرة الذى كان كاذباً ومبالغاً فيه ونابعاً من الجبن والخبث المصطنع ، ربما يصدق على قلائل من هؤلاء السكان لا على جميعهم ــ وأما الوصول إلى تصوير أنفسهم كالجراد فهو تشبيه

غريب فيه مبالغة فى تقدير حجم وقوة أعدائهم ، وكأن الله خارج الموضوع كلية ، فإنهم لم يفكروا فيه ولا عملوا حسابه ــ ولو فعلوا ذلك وقارنوه بأولئك الجبابرة ما كان هناك ثمة فرق مطلقاً ان كانوا أنفسهم جراداً أو كانوا بشراً ــ ولكن بعدم إيمانهم أهانوا الله وأنزلوه لمستوى جرادة ...!

وهنا وقف كالب ويشوع وقدما شهادتهما الأمينة التى بها واجها الموقف وكشفا عن سهولة امتلاك كنعان إذا تخلى الشعب عن تمرده وإنكاره للجميل الأمر الذى يغضب الله ويدفعه لهجرهم ...

وقد احتوت هذه الشهادة الأمينة الحقائق الآتية :-

١ ــ أن الأرض جيدة جداً جداً وإنما دخولها مشروط بضرورة أن يكون الداخلون إليها فى حالة تُسَّر الرب ــ وذلك دون تجاهل للصعاب ومقابلتها بوعد الرب وقدرته وحضوره ــ هذا هو كل المطلوب لامتلاك هذه الأرض ، فليس الغرض من الصعوبات أن نهرب منها خائفين ولا أن نقتحمها طائشين لأنه لا الهروب ولا الاقتحام هما من عمل الإيمان ...

٢ ــ التحذير من التمرد على الرب والخوف من الأعداء ، فإن فى الأرض من مصادر القوة ما يمد الداخلين إليها بالمعونة عند امتلاكها وذلك بعد مواجهة الصعوبات ، لأن الله دائماً يكرم الإيمان ويتجاوب معه مهما كانت الصعوبات !!

• • •

والآن أيها العزيز وقد جئنا إلى خاتمة هذه التأملات أرجوك أن تكف عن أى فكر بأنه يمكنك من نفسك وبنفسك أن تعبر قادش برنيع إلى الأرض الجيدة وتذكر أن يشوع فقط (يسوعنا المبارك) هو الذى يستطيع أن يقودك إلى تلك الأرض ويعطيك فيها ميراثاً ...

وإنما عليك أن تقرر ذلك الآن ــ لأنه قد تكون هذه آخر دعوات الله لك فى هذا الشأن .. فإياك أن تظن أن الرب لا يريد لك أن تعبر قادش برنيع وتتمتع بالحياة فى كنعان الآن ... وإنما يجب أن تنتبه لأن هذه الدعوة المقدمة لك قد تكون فرصتك الأخيرة فاستودعك لتبكيتات روح الله لعلك تنتهزها فتعبر قادش برنيع وتودع بريتك وتدخل كنعانك على الفور !!

تم بعونه تعالى

الفهرســت

صفحة

الإهداء ٢

تمهيد ٣

الفصــل الأول : رحلة الخارجين من مصر ٤

الفصـل الثاني : من مصر إلى كنعان ٧

الفصـل الثالث : التوقف عند الحدود الفاصلة ١١

الفصـل الرابع : كشف النوايا وإظهار الحقيقة ١٥

الفصـل الخامس : الامتحان الكاشف لحالة الازدواجية ١٩

الفصل السادس : مواجهة بين الإيمان والعيان ٢٤

الفصـل السابع : الوعود الإلهية الضامنة للدخول ٣٠

الفصـل الثامـن : مكان الحسم وتقرير المصير ٣٣

الفصـل التاسع : نهاية الدوران وفرز الأمناء ٤٢

الفصـل العاشر : دروس قادش برنيع ٤٩

رقم الايداع : ٣٧٩٥ / ١٩٨٨

دار الثقافة العربية للطباعة
٢٣ شارع الظاهر — القاهرة
ت : ٩٠٦٧٠٦

هذا الكتاب

هو خلاصة التأملات فى موضوع هام قلما تطرق إليه كاتب من قبل ، بل هو الموضوع الحساس الذى يجب على كل مسيحى حقيقى أن يقف فى مواجهته ويكتشف حالته على حقيقتها فى مرآته ، أنه موضوع « قادش برنيع » تلك المحطة التى توقف فيها الشعب قديماً فى امتحان حاسم للاختيار ما بين التقدم إلى كنعان أو التقهقر حيث الذل والهوان ...

إنه الموضوع الذى يتحدى كل منا اليوم ونحن فى اختبار البرية أيهما نختار ! وهو تحدى يواجه المسيحية بأسرها الآن !

إن هذا الكتاب يجعلك شاهد عيان لما جرى مع شعب الله القديم ، إنه يرجع بك آلاف السنين ويوقفك فعلاً بجانب موسى الكليم تعاين بعينك وتحس بقلبك وتفطن بعقلك وتلمس بنفسك ما كان يدور فى « قادش برنيع » ، ثم يتخطى بك الزمن السحيق إلى المستقبل المشرق لأبدية سعيدة وفجأة يضعك فى واقع حياتك بينهما لتختار منهاجك فى هذه الحياة ، وهذا ما عودنا عليه الكاتب دائماً بأسلوبه السهل الممتنع ونظراته الروحية الثاقبة لبواطن الأمور ، بل إنك ستكتشف فيه سراً عميقاً ألا وهو لماذا حرم موسى نفسه من دخول أرض كنعان ؟

هذا ما تجيب عنه الفصول العشرة لهذا الكتاب الذى نستودعه لكل من يصل إليه لاتمام القصد منه وهو تمجيد الله وبلوغ السعادة القصوى فى الحياة .

ثمن النسخة
١٠٠ قرش